علّمتني

الفاتحة وآية الكرسي

الطبعة الأولى

كل الحقوق محفوظة

جمادى الأولى ١٤٣٩هـ. - يناير - كانون الثاني ٢٠١٨م.

يوزع مجاناً عن روح المرحومين بإذن الله

أ. محمد مدحت كبارة
د. محمود ابراهيم خليل
السيدة يسرى داود

وصدقة جارية عن أرواح أموات جميع المسلمين والمسلمات

لبنان - طرابلس

www.3alamatnisurah.com
www.3alamatnisourat.com

علّمتني الفاتحة وآية الكرسيّ

جمع وإعداد
م. عامر كبّارة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا الكتاب لكلِّ مَن أراد أن يطمئن في دعائه
ويخشع في صلاته ويهنأ في حياته،
وذلك بالتمتّع بالقراءة والتفكُّر في معاني
أعظم سورة وأعظم آية في القرآن الكريم..

كما أهديه إلى أهلي وأحبّتي وأصحابي،
ولكل الشباب والشابَّات بصورة خاصة،
وأدعوهم بكل صدق ومحبّة لقراءة هذا الكتاب..

المدخل إلى سلسلة «علَّمتْني»

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدِنا محمدٍ وعلى آلهَ وصحبه أجمعين.

إن ممَّا يُفسِد حياةَ كثيرٍ من الأجيال المُعاصِرة من المسلمين ويجعلُهم من المُستهزِئين بالدين - بالرَّغم من إيمانِهم بالله الواحدِ ورسولِهِ الكريم - بعضُ المُمارَسات الخاطئةِ للكثيرِ من الإعلامِيين والدُّعاةِ والعلماءِ المسلمين وبعضِ المَسؤولين في جميع المجالات، وكذلك ممارسات بعضِ الجماعات التي أُنشِئَتْ بغرض هَدمِ الدِّين من داخلِهِ وتغليبِ العالَمِ عليه.

ومن جُملةِ هذه الممارسات التي مازال علماؤُنا - للأسف الشديد - يدعون ويُرشِدون الشبابَ إليها أنهم غالبًا ما يبُثُّونَ فيهم عُقدةَ الذنْبِ والتقصيرِ وهَوَسِ الخطيئة، ويُهدِّدُونَهم بعذاب القبر ونار جهنم والعياذ بالله.

ويعود ذلك إلى الكثير من الفتاوى المتعدِّدةِ ذاتِ الزَّجْرِ والترهيب، والمُتَضارِبة في كثيرٍ من الأحيان؛ ممَّا نفَّرَ الشبابَ عن التقرُّبِ إلى عبادة الله عز وجل كما ينبغي، بالرغم من وُجود الإيمان الفِطْرِيِّ لديهم؛ ذلك أنَّ

الإسلامَ - كما يَرونه الآن - تحوَّل إلى طقوسٍ وتقاليدَ وعاداتٍ (فلكلور)، بينما الإسلام الصحيح هو منهجٌ مُتكامِلٌ للحياة الكريمة لجميع المسلمين على اختلافِ ألوانهم وأَعمارِهم، يؤدي إلى إعلاء شأنهم على سائر الأمم.

ولقد اطَّلعتُ - في إحدى أدواتِ التواصل الاجتماعي - على مقالٍ كتب فيه أحدُهم:

نريد أن نكون مثلَ بلاد الكفَّار. فردَّ عليه آخرُ: إن سببَ تخلُّفنا هو الابتعادُ عن الكتاب والسنة. لكن ردَّ الكاتب الأول كان كالتالي: دومًا تُردِّدُون - كالببَّغاوات - نفسَ الأسطوانة، أن سبب تخلُّفِنا هو ابتعادُنا عن الإسلام، وأنا أقول: هل سببُ تقدُّم اليابان وأمريكا والصين وأوروبا وروسيا هو عملُهُم بالشريعة الإسلامية؟!

والحقيقة أن سبب تخلُّفنا هو التخلُّفُ الموجودُ في العقول المُتحجِّرة، والأمرُ لا يحتاج إلى برهان.

وقد كتب أحدُ المثقفين العرب في إحدى الصحف ما يلي:

«أزمات العالم العربي سببها ليس البعد عن الدين فقط، بل الأزمة في العقل والفكر والضمير معًا. والتديُّن يصنع الضمير الحيَّ النقي على مستوى الفرد والجماعة، لكنه لا يُشكِّل عقلَ الإنسان بصورة كاملة، فالعقل والفكر يصنعهما التعليم والمجتمع ومؤثِّرات العولمة الكونية والتجربة الذاتية، ومن الانفصال بين العقل والضمير تأتي أزماتُ العالم العربي والإسلامي.

كثير من الناس اليوم أصحابُ (ديـن قويٍّ)، ولكنهم يحملون فكرًا ضحـلًا وعقلًا بغير عمق؛ فتكـون النتيجة كوارثَ مُتعاقِبـةً، ومن الناس أصحابُ فكر وعقل قوي بلا دين، فيتشـكَّل المجتمعُ بغير ضمير، ويشتدُّ عود الفسـاد، وتهـوي المجتمعات من داخلها؛ لـذا فالمعركة مزدوجة على مسـتوى العقـل والضمير، وكلاهما يشـكل وَعْيَ الإنسـان، وبهذا نحدد معركة الوعي.

إن التنظيمات الإسـلامية المعاصرة فشِلتْ في معركة العقل والفكر، ولم تفهم أنَّ العلم أساس نهضة الأمم، لا مجرَّدُ الخطب الحماسية والأُمنياتِ الصادقة والرؤى الشـفافة والقلوب النقية؛ لذا فهُـمْ يملؤون كلَّ أخدود يحفره الظالمون، فهم يندفعون بـلا رَوِيَّةٍ، ويحلمون بلا خطط، ويواجهون العالم في الكلام والتنظير بعيدًا عن حيِّزِ الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته.

والعلمانيـون العـرب والمسـلمون يدمّـرون مجتمعاتِنـا بالماديـات وبالمُسكرات والشـهوات واللذات التي يحتكرها أصحابُ المال والنفوذِ، تاركين الفقراءَ في حالاتٍ مُركَّزة من الفقر والمرض والجهل والعَوَزِ والذلِّ.

إن نهضـة البلاد مشروطةٌ بالمزج بين الديـن والعلم والعمل بصورة عاقلة وفاعلة ومستديمة...» انتهى المقال.

ولفت نظري - أيضًا - ما قالته السيدة (ميركل) - المستشارة الألمانية - في إحدى خطبها هذه السـنة (٢٠١٧م) «أن الهند والصين لديهم أكثر من مئة وخمسـين ربًّا وآلهةً، وثمانمئة عقيدة مختلفة، ويعيشـون بسـلام بعضُهم مـع بعض [وهذا كلامٌ غـيرُ دقيقٍ؛ لأن الأقلِّيَّات المسـلمة هناك تعاني من الظلـم والاضطهاد من أتباع الأديان الأخـرى، ولكنها تقصد الإجمال]،

بينما المسلمون في أوطانهم لديهم ربٌّ واحد وكتاب منزل واحد، ولكن شوارعهم تلوّنت بالأحمر من دمائهم، فالقاتل يصرخ الله أكبر والمقتول يصرخ الله أكبر !!» انتهى كلامها.

وقرأتُ أيضًا عن تاجر صيني يقول: يطلب منِّي بعضُ التجار المسلمين تزويرَ بضاعتي بوضع أسماء (ماركات) عالمية عليها، ثم يرفضون الطعام الذي أقدمه لهم لأنه «غير حلال». لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد نتفق معهم أو نختلف في هذا المنطق أو في بعض الأمور، ولكن يجب التوضيح أولًا أنه لا يوجد إسلام متخلِّف؛ فالإسلام بالمطلَق متقدِّمٌ على سائر الحضارات الإنسانية إلى يوم الدين، ولكن هناك مسلمون متخلِّفون يمارسون - خطأً أو جهلًا أو عمدًا - ما يعتقدون أنه الإسلام، والإسلام من ممارساتهم بَراء.

وأرى أن الردَّ على ما أثارته أمثالُ هذه المقالات هو ما قاله الدكتور محمد راتب النابلسي والشيخ محمد متولي الشعراوي.

يقول الدكتور النابلسي: «ما مشكلة المسلمين اليوم؟ ولماذا لم تتحقق وُعود الله تعالى لهم؟ إن المسلمين اليوم يُقرِّون بأن الله خلق السماوات والأرض، وبأن الجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ، ولكن المشكلة الكبيرة أنهم لا يطبِّقون أمرَ الله عز وجل».

هناك وعود كثيرة للمسلمين لمْ تتحقق، وحاشا لله أن يُخلِفَ وعدَه، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء/ ٨٧، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ التوبة/ ١١١،

ولكنْ ينبغي علينا أن نشكَّ في مصداقية إيماننا، هذا يعني أن هناك مشكلة، المشكلة تكمن في عدم التطبيق...

السؤال الثاني: ما السبب الذي يجعل المسلمَ لا يطبِّق؟ إن السبب – ببساطة – أنه لا يعرف الله!! مَن عرفَ أمرَ الله ولم يعرف اللهَ عز وجل فإنه يتفنَّنُ في التفلُّت من أمره، ويتعلق بأيِّ فتوى، وقد يتعلق بعادات المجتمع وتقاليده، وقد يدَّعي – بعض الأحيان – أنه لا يعلم عاقبة الأمور، وأن الله غفور رحيم، والسبب الحقيقي في دعواه تلك أنه لا يعرف اللهَ، ولا يعرف ما عنده إذا لم يُطِعْهُ وما ينتظره إذا عصاه.

السبب إذَن هو عدم الالتزام، وسبب عدم الالتزام هو عدم معرفة الله تعالى، فالله عز وجل – في هذه الآيات التي بين أيدينا – يبين أن من أراد أن يعرف اللهَ يجب عليه أن يتأمل في مخلوقاته: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ يونس/ ١٠١. لماذا ينبغي أن ننظر في السماوات والأرض؟؟ انظروا: فعل أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

نحن فهمنا أن الأوامر إنما هي خمسة فقط:

١ – شهادة أن لا إله إلا الله.

٢ – إقامة الصلاة.

٣ – إيتاء الزكاة.

٤ – صوم رمضان.

٥ – حجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ يونس/ ١٠١، أمرنا بالنظر من أجل أن نعرفه، ولماذا ينبغي أن نعرفه؟ من أجل أن نطيعه، ولماذا ينبغي أن نطيعه؟ من أجل أن نَسْلم ونَسْعد في الدنيا والآخرة». انتهى المقال.

وقال الشيخ الشعراوي في أحد دروسه في الرّد على مثل هذه المقالات:

«لما كنتُ في سان فرانسسكو سألني أحد المستشرقين: هل كلُّ ما في قرآنكم صحيح؟ فأجبت: بالتأكيد نعم، فقال: لماذا إذَن جعل الله للكافرين عليكم سبيلًا رغم قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ النساء/ ١٤١، فأجبت: لأننا مسلمون ولسنا مؤمنين، فقال المستشرق: وما الفرق بين المسلمين والمؤمنين؟ قلت: جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ الحجرات/ ١٤، فالمسلمون لم يرتقوا إلى مرحلة المؤمنين، فلنتدبَّرْ ما يلي:

- لو كانوا مؤمنين حقًّا لنصرهم اللهُ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ الروم/ ٤٧.

- لو كانوا مؤمنين - كما ينبغي - لأصبحوا أكثر شأنًا بين الأمم والشعوب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ آل عمران/ ١٣٩.

- لو كانوا مؤمنين لما جعل الله عليهم أي سيطرة من الآخرين، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ النساء/ ١٤١.

- ولو كانوا مؤمنين لما تركهم الله على هذه الحالة المُزْرية، بدليل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ آل عمران/ ١٧٩.

- ولو كانوا مؤمنين لكان الله معهم في كل المواقف، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال/ ١٩، ولكنهم بقوا في مرحلة المسلمين (بالظاهر)، ولم يرتقوا إلى مرحلة المؤمنين (بقلوبهم)، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الشعراء/ ٨، فمَن هم المؤمنون؟ الجواب مِن القرآن الكريم، هم: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ التوبة/ ١١٢، فهل نحن نطبِّق ذلك؟» انتهى الردّ.

وقد دعا إلى ذلك أيضًا الشيخ عبد الرحمن السعدي والشيخ محمد الغزالي والدكتور مصطفى محمود والشيخ صبحي الصالح والشيخ محمد رمضان البوطي رحمهم الله وغيرهم من الدُّعاة الثقات والعلماء المُعتدِلين.

ورأْيُ الكثير من الغيورين على المسلمين من المثقَّفين في كل الأقطار أن السؤال الأهم الذي يفرض نفسه على كل مسلم في هذا الزمن هو سؤال الأصالة والمُعاصَرة، كيف يمكننا أن نحافظ على الدين والإيمان في ظل الحداثة؟ هل تتغير الأحكامُ الشرعية مع هذا التغيُّر الهائل في الواقع؟ هل علينا أن نحارب الدنيا حفاظًا على ديننا الذي ورِثناه؟ أم ثمَّةَ مساحةٌ للتجديد والاجتهاد؟ وهل يمكن أن ينبني هذا الاجتهاد على الأصول الدينية الموروثة (القرآن والسنة والإجماع والقياس التي فصَّلها الأئمةُ السابقون)، أم أنه يجب هَدم هذه الأصول، والقولُ بتاريخية النص القرآني

أو إنكار حُجِّيَّةِ بعض الأحاديث وخاصة أحاديث الآحاد (الأحاديث المرويَّة عن الرسول ﷺ وليست متواترة)، أو إنكار الإجماع (من العلماء على أمرٍ ما)، أو غير ذلك؟

الناس في ذلك بين من اتجه لهدم الدين كليًّا واعتبارِه من الماضي الذي عفا عليه الزمن، ومَن اتَّجه لهدم الواقع باعتباره انحرافًا عن الدين يجب تصويبه بالعودة إلى صورة الحياة في صدر الإسلام، ومن أوهم الناسَ أن كلَّ ما وصلت إليه الحضارةُ فالإسلامُ قد سبق بالدعوة إليه وأنه موجودٌ في ديننا، وقِلَّةٌ قليلة جدًّا من العلماء المعاصرين هي التي تحاول بحقٍّ أن تعيد النظر، وتجتهد اجتهادًا (فقهيًا) علميًّا حقيقيًّا جادًّا يتأسس على أصول الدين ولا يشقى به العباد في دنياهم، ويمكنهم معه أن يعيشوا عَصْرَهم بما فيه من المنجزات والمكتسَبات.

نعم، هناك سلوك خاطئٌ للكثير من المسلمين، ونلاحظ ذلك في حياتنا اليومية، هناك أناس يصلُّون، وفي ذات الوقت يكذبون ويُحلِّلون لأنفسهم أمورًا بعيدة عن تعاليم الإسلام، ويسمونها بمسمَّيات مختلِفة، من أمور الطلاق، الميراث، الرشوة، الكذب... إلى ما هنالك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن الأوهام مستشرية في الأمة الإسلامية بمجملها في معظم الدول وعلى كافة المستويات، الفرديةِ والمُجتمعيَّةِ والدوائر الحكومية، وفي المعتقدات والإنجازات، سواء الدينية أو المدنية، أي إن الكثير من الملتزمين (المُتزَمِّتين) يتوهمون أنَّ كلَّ ما يفعلونه هو من الإسلام الصحيح، وأن المسلمين سوف تكون لهم الغَلَبة، وأن طريقتهم بالدعوة هي الأسلوب الناجح، وغيرُ الملتزمين يظنُّون أنهم يفعلون الشيء

الصحيح، وأن الحرية المُطلقَةَ في الاعتقاد أو الكلام أو اللباس - كما يفعله الغرب - هي التي سوف تنهض بالأمة الإسلامية، وأن الدين الصحيح هو الإيمان في القلب فقط، وأن الاختلاط المُشِينَ والإعلام المُتفلِّت هي حرِّيات شخصية بين العبد وربه فقط، ولا علاقة للمجتمع به بأي حال من الأحوال.

مجتمعاتُنا تتوهَّم أنها مجتمعاتٌ إسلامية، وتنتقد ثم تمارس عكسَ انتقاداتها، كما نشاهده يوميًّا من الفوضى والتناقضات... إلخ.

ولا نبرِّئ الإعلام وبرامجه الفاسدة في كثير من الأحيان - على الرغم من وجود بعض القنوات الفضائية الملتزمة والهادفة -.

أما مجال الدعوة فهذا ما نريد إلقاء الضوء عليه أكثر من غيره، والإعلام وسيلة من وسائل الدعوة، فإنْ أحسنَّا استغلالها نجحنا، وأما إذا لم نفعل فإن مسار الدعوة الإسلامية المطلوب لن يُكتب له النجاح.

إن الدول الغربية والشرقية (بلاد الكفار كما يسميها بعض الدعاة) هي الأمم الأقوى، ويجب على وُلاة الأمور - وهم الحكَّام والعلماء والقيادات وعلماء الدين والدعاة والمربُّون وغيرهم - تقبُّلُ هذا النقد بشكل إيجابيٍّ، وتحليل هذا الوضع، والوقوف عنده؛ والعملُ - كلٌّ في موقعه وضمن مسؤولياته - على تغيير وتحسين أوضاع المسلمين في شتى المجالات في بلدانهم، وتقوية إيمانهم بدينهم وأوطانهم، وإيجاد فرص العمل، وتحفيزهم على الإبداع والإنتاج في بلدانهم، وبخاصة الشباب منهم.

ولكـن مـا نشـاهده الآن هو أن المسـلمين والعـرب عمومًا هم من الشـعوب الذيـن يتفرَّقـون فيما بينهـم على حسـب الجنسـية أو المولد أو القوميـة... وهـذا لا يجوز، فقد كان من الصحابة الكرام سـلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبـشي رضي الله عنهم أجمعين، وقد آخى بينهم الرسولُ ﷺ، وكان صلى الله عليه وسلم يَنهَرُ كلَّ من يفرِّق؛ فالكلُّ مسلم، وليس لعربي على عجمي فضلٌ إلا بالتقوى.

بهـذا فإننـا ندعو كلَّ مسـلم مثقَّـفٍ وكلَّ عـالمِ دينٍ منفتـحٍ للعمل عـلى إزالة الأوهام عن دين الإسـلام، والقيامِ بمحاولةٍ جـادَّةٍ للبحث في هـذه القضيـة (علاقةِ الديـن بالواقع، وعلاقـة الواقع بالديـن)، ومحاولةِ حـلِّ بعض مشـاكلها بإثبات أصول معرفـة الدين الموروثة وبيـان حُجِّيَّةِ الكتاب والسـنة والإجماع، ثم بيانِ كيف يمكن أن تتغير الأحكام الشرعية (الفقهيـة) معقولةُ المعنى بتغيُّر الأحوال والزمـان والمكان، ضاربًا العديد من الأمثلة على ذلك في قضايا المعاصرة، كمحاربة غير المسلمين، وحقوق المرأة، والحكم، والسياسة... إلى ما هنالك ومبيِّنًا الفرق بين الأمور الدينية والأمور الدنيوية التي قد تتناولها النصوص الدينية، لنصل إلى نتائج محدّدة مبنيـة ومؤسسـة على الأصول الثابتـة لمعرفة الدين، ثم بيـان علاقة الدين بالواقع، وكيف تمضي الأسباب الحياتية، وهل للإيمان والعمل الصالح أثر في الـرزق والنصر والتمكين، إلى مـا هنالك من الأمور الحياتية التي تحتاج إلى وضوحِ رؤية وشـجاعة ومواقف محـدّدة من الوجهة الشرعية، لتعميق الإيمان الصحيح والعمل والتطبيق بمقتضى هذا الإيمان.

في خِضَـمِّ هـذه الفـوضى نتمنـى عـلى العلـماء والدعـاة أن يرتِّبوا الأولويات، ويركزوا على الأساسيات، وأن يبتعدوا عن الخلافات الفقهية

والأمـور الثانويـة. التـي هي مـن إجتهاد العلـماء وتتغير بتغـير الأحوال والمكان والزمان.

كما يُستحسـن أن نوجّه المسـلمين ونسـاعدهم على أن يعرفوا قيمة أنفسـهم، معهم كتاب مُعجِزٌ، وسـيرةُ رسـولٍ كريم، وعقـولٌ، ليتفكروا وليبحثـوا في كتب العلـم بإيجابية ورغبة عـن أجوبة للأسـئلة التي تدور في أذهانهم.

كما ينبغي التركيز بصورة أساسـية على الحب والتقريب والترغيب، والتركيز على الكيف لا على الكَمِّ من العمل فحسْـب؛ لأن الله تعالى يريد منا الإخلاصَ بالعبادة والعمل لا بالقول فحسـب، وأن نراقب تصرفاتنا وأعمالنا لتكون متماشية مع التعاليم السماوية والسنة النبوية المطهرة.

إن رسـالة سيدنا محمد ﷺ هي الإرشاد إلى الرحمن الرحيم بالسلوك الحسـن والقـدوة والرحمـة والتـدرُّج والصبر، كـما أن الله تعـالى يريد من الإنسـان أن يعيش بعيدًا عن الخوف والأوهام، وعلينا أن لا نُغْفِلَ جانب بناء شـخصية الإنسان السـوِيِّ، والذي يبدأ في سن الطفولة التي يجب أن نعتني بها...

إن الانطلاق في سـماء حب الله والرحمة والغفـران والثقة بالنفس - بعيدًا عن عقدة الذنب - هو العامل الأسـاس في الدعوة، وقبل كلِّ ذلك الثقـةُ بالله عز وجل، وأنْ يعمل الإنسـان ما يجـب أن يفعله كما يمليه عليه ضميره من واقع المودّة والإيجابية والتفاؤل، لا من واقع الخوف والسـلبية وعقـدة الذنب، فعلى المسـلم أن يعمل باسـتمرار ولا يخشـى الخطأ، فالله غفـور رحيم يغفر جميـع الذنوب والمعاصي بالتوبـة الخالصة التي هي بين

العبد وربه، ولو تكررت أو كثُرت المعاصي والذنوب، بشرط إدراك الخطأ والعمل على التغيير بشكل جدِّيٍّ بعد التوبة.

كما أنه يجب تنبيه الشباب المعاصر على ضرورة العودة إلى اللغة العربية الأصيلة والحفاظ عليها؛ لأن ما يجري اليوم هو إعطاء الاهتمام الأساسي للغات الأجنبية، إن تعلُّم اللغات الأخرى أمر مطلوبٌ لأنها أصبحت ضرورة، ولكن لا على حساب لغتنا العربية، لغة القرآن، وتعلُّم اللغة العربية ييسِّر تدبُّر القرآن والرجوعَ إلى سنة رسول الله ﷺ في الفهم والتطبيق.

ومما يجب الانتباه إليه عدم طغيان وسائل التواصل الحديثة على القراءة، والجدير بالذكر أنه بالرغم من تعاظُم استخدام وتأثير أدوات التواصل الاجتماعي - وخصوصًا في السنوات العشر الأخيرة - فإن القراءة من الكتب في البلدان الغربية والشرقية المتقدمة ما زالت تحافظ على نسبة عالية مقارنة بالقراءة من الإنترنت، وبالتالي مازال البَوْنُ شاسعًا بيننا وبينهم.

إن من أسباب الجهل المستشري في الأمة تَدَنِّي مُعدَّلات القراءة بكافة أشكالها، الأمر الذي يجب حتمًا الاهتمام به جديًّا.

وحيث إن معظم الشباب في الأمة الإسلامية يفضلون استعمال أدوات التواصل الاجتماعي والحواسب الآلية والهواتف الذكية المتوفرة مع الجميع حتى مع الأطفال الصغار فلْيكُن ذلك بمدة معلومة وأوقات محددّة، مع التشجيع على القراءة من الكتب والمقالات، والكتابة باللغة العربية الصحيحة، وليس كما يجري مع كثير من الشباب

حين يتواصلون حيث يكتبون اللغة العربية بالحروف الإنجليزية أو برموز أخرى.

إن تحسين مواد وأساليب التربية والتعليم لا يكون فقط في المدارس والجامعات، بل في البيوت والمساجد والنوادي والشركات والمؤسسات وغير ذلك من منظومات المجتمع المدني، ليتم التركيز على الاهتمام بالتفكير والاستنتاج والتطبيق والبحث واتخاذ القرارات، لا على مجرَّد التلقين.

كما يجب على جميع من يهمّهم الأمر في الدعوة والتربية والتعليم البحثُ عن أساليب وطرق جديدة ومتنوعة وعصرية تناسب تطلعات الشباب بالترغيب وباللين (مع الحزم في بعض الأحيان) ومعرفة مشاكلهم، والضغوط التي يتعرضون لها بسبب عدم وجود قدوات وفرص عمل وبدائل مناسبة.

فمثلًا لماذا لا نطلب من الشركات والمؤسسات الخاصة والمجتمع المدني ورجال الأعمال القيامَ بعمل ندوات دورية وتخصيص مكافآت للموظفين وللطلاب وللعموم ممَّن لديهم مبادرات وإضافات خاصة وإيجابية، والعمل بها في شتَّى مجالات الحياة.

إن الشباب هم اللَّبِنَةُ الأولى، ويجب الاتجاه إليهم بِلُغَتهم وأسلوبهم الذي يفضِّلونه ويرتاحون إليه حتى يتقبلوا التكاليف الشرعية، مع ضرورة التمسك بثوابت الدين؛ لذلك نرى من الحكمة أن يؤجَّل التركيزُ على المظاهر، ويُفعَّل فقهُ الأولويَّات، لأن الشباب والشابات يتأثرون سلبيًّا بهذه الأمور الظاهرية في هذه الأيام العصيبة، قال الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ طه/ ١٣٢. كما يجب ترتيب الأولويات

في الدعوة، فالإيمان بالله موجود ولله الحمد، وهو الأساس الذي يجب أن يبنى عليه، لا على الأمور الشكلية، فلو كان الشاب يصلي ولكنه مقصِّر في الصلاة في أوقاتها فيجب احتضانُه وترغيبه للمحافظة عليها، وإذا كانت الفتاة غير ملتزمة بالحجاب ولكنها تصلِّي فيجب تقبُّلُها وعدمُ ترهيبها، وهكذا...

كما نرى أن يتم التركيز على الأخلاق والمعاملات، مع مراعاة خصوصيات بعض المجتمعات واختلافها عن عادات المجتمعات الأخرى، وإن كانت القِيَمُ الأساسية واحدةً.

كما يجب تقبُّلُ الآخر من ذوي المذاهب المختلفة (من المسلمين)، وحتى مَن ينتمي إلى الأديان الأخرى من بني جلدتنا وشركائنا في المجتمع، وعدمُ التكفير والتهجُّم عليهم، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوةٌ حسنة؛ فقد تعامل في المدينة المنورة مع أهل الكتاب، وكانوا شركاء في الوطن والعمل والمعاملة، بالرغم من اختلافهم في الدين.

ثَمَّة مَن يركز في دعوته على أن الإنسانَ مهما عمل فإنه لن يدخل الجنة إلا برحمة الله، وهذا صحيح، ولكن لا بد معه من التنبيه إلى شأن الاجتهاد في العمل، مما يشجع على العمل كما يريد الله.

كثيرون هم من يكثرون ترديد: إننا خير أُمَّةٍ أُخرجت للناس، وينسون أن هذه الخيريَّةَ مرتبطة بالعمل (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)؛ لذلك وجبَتْ ممارسةُ القِيَم الإسلامية، لا حِفظُها فحسب.

وهناك من يطالب بالإصلاح والتجديد الديني ومنهم من يطالب بتنقية التراث، إن الدين لا يتجدد لأنه من عندالله عز وجل، أما الأحكام الفقهية والمذاهب فهي التي تتجدد لأنها من اجتهاد البشر، وهو استنباط يعتمد على الفهم والحال والمكان والزمان.

ولا بدَّ أيضًا من الدعوة - بالأساليب العلمية - إلى حل مشاكل الحياة العملية، ومن ذلك إيجادُ فرصٍ للعمل، والعملُ التطوُّعِيُّ الجَماعي، والحثُّ على العمل بإخلاص مع محاسبة المقصِّر، والاستفادة من العلم الحديث، والعملُ الجادُّ وبإتقان، والترفُّعُ عن الشائعات، وإعطاء الثقة لولاة الأمور، ونشرُ السُّنة الصحيحة لنبينا عليه الصلاة والسلام لتكون قدوة المسلمين في كل الأمور الحياتية واليومية، وهذا مَخرجُنا الوحيد من هذه الأزمات المستعصية.

يجب ترغيب عموم الناس من كافة الفئات والأعمار والأجناس في فهم واستيعاب معاني ومقاصد الإسلام الموجودة في القرآن الكريم وتعاليم الرسول الكريم بأساليب معاصرة ومن علماء ثقات مُجدِّدين بتفاسير واجتهادات معقولة علمية سهلة لا تحيد عن الثوابت، وإنما فيها يُسْرٌ في الفهم والاستيعاب، وعلى الدعاة أن ينتقلوا من مرحلة الوعظ إلى مرحلة التفاعل والاستقراء والتفكير والإرشاد والقدوة والعمل التطوعي الجماعي بعيدًا عن السياسة - بمفهومها المعاصر -، وهناك العديد من التجارب والأساليب الدعوية والتنمويَّة ممَّن نحسبهم من المخلصين، ولكنها ليست بالحجم المطلوب أو أنها محدودة التطبيق؛ لذا يجب البحث عنها لدعمها وتشجيعها وتعميمها.

وأخيرًا ننصح أن يبدأ كلٌّ منَّا بنفسه أولًا، بأن يقيم أمر الله:

١- في نفسه،

٢- في بيته،

٣- في مجتمعه وأعماله،

وأن يدرك دومًا أن الله يرى ويسمع، ويعتقد أن الهدف هو إرضاؤه سبحانه والعمل بما يريده منا.

إن هـذا ليس كلامًـا نظريًّا، بل هو ممكِنٌ وسـهل إذا توفرت البيئة والنيّة، وهما أسـاس كلِّ عمل، لا يوجَد إنسـانٌ ضعيف، ولكن الكثيرين يجهلـون مواقـع قوَّتهم، فلننظـر إلى القـدوات المُنتِجة والمبدعـة في واقعنا الحالي، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- الدكتور عبد الله السـميط، من الكويت، ناشـط في مجال الدعوة الإسلامية، وهو طبيب، وقد أسلم على يديه عشرات الآلاف من البشر في كافة أنحاء المعمورة.

٢- الدكتـور مهاتـير محمد، مـن ماليزيـا، مبدع في مجـال التخطيط والإدارة، وقـد نقـل دولة ماليزيا في سـنوات معـدودة إلى مَصافِّ الدول التكنولوجية المُصنِّعة.

٣- الدكتـور محمـد زويـل، مـن مـصر، متميـز في مجـالات العلم والتكنولوجيا، حائز على جائزة نوبل في اختراعاته في مجال النانوتكنولوجي.

٤- الشيخ سليمان الراجحي، من السعودية، في مجالات المال والأعمال الخيرية والإنسانية، وهو صاحب أكبر بستان في العالم للنخيل، وهو وقف للمسلمين.

٥- المشير محمد سوار الذهب، من السودان، تخلى - طوعًا - عن رئاسة جمهورية السودان ليفسح المجال لغيره من الكفاءات للقيام بذلك.

٦- البروفسور محمد يونس، من بنجلادش، حائز على جائزة نوبل للسلام، ومؤسس بنك الإقراض للفقراء (كرامين) الذي أحدث فروقًا هائلة للفقراء وللاقتصاد والتنمية...

إلى ما هنالك من الشخصيات الأخرى الكثيرة في البلاد العربية والإسلامية.

ولتعلم أن ما استطاع أن يعمله هؤلاء يمكنك أن تفعله أنت باتخاذ نفس الخطوات التي قاموا هم باتخاذها بجدية وإيمان وعزم وصبر.

وهذا ما نحسب أن الله يريده منا، قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه/ ١١٤، وقال أيضًا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات/ ٥٦، والعبادة بمعناها الواسع هي العمل على إعمار الأرض كما يحب الله ولا يكون ذلك إلا بالعلم مع الإيمان وفقًا لتعاليم الله سبحانه وتعالى.

ونرى أن نبدأ - كما قال الدكتور النابلسي - في معرفة الله حقَّ المعرفة، ثم فَهْمِ لِمَ «خلقنا» الله جل وعلا في هذا الكون؟ وما هو «الهدف» من هذه الحياة؟ والذي هو «عبادة الله سبحانه»، فإذا

سـلَّمنا أن الله هو الخالق الواحد لهذا الكون، فحينئذٍ يسـهل تقبّل تعاليمه والـعـمـل بـهـا.

وبغرض التيسير على العامة للإقبال على تعاليم الإسلام وعلى قراءة وفهم وتدبُّر القرآن اجتهدنا ورأينا أن نبدأ بتذكير الشباب بما يحويه القرآن، وما هو الإسـلام والإيـمان، ثم توجيه الشـباب والعامة وبسـهولة ويُسرٍ نحـو معاني ومقاصد السـور في القـرآن الكريم، كخطـوة أولى متواضعة نحـو تعميق الإيمان والتطبيق والعمل بمقاصد الشريعة الإسـلامية، وقد اسـتخرْنا الله عز وجل وأعددنا سلسـلة كتب «علمتني»، وهي عبارة عن تفاسـير ميسّرة لسـور بعينها من القرآن الكريم بدءًا من قصار السور التي يحفظهـا جميع المسـلمين، بشرح الكلمات الـواردة فيها، ومن ثم اسـتنباط بعض هداية الآيات، وهي اجتهادات تجيب عن بعض أسـئلة واهتمامات الأجيـال الجديـدة، وكذلك وضعنا تفاسـير موضوعيـة مختصرة وأخرى موسـعة وذات صبغة علميـة حديثة كما وردت من بعـض العلماء الثقات المعاصرين، ليستقي منها الجميع مُبْتغاهم عند قراءة هذه السلسلة ولو على مراحل حسب ما يستطيعون.

وقد اخترنا تقديم التفسيرات بتصرف وبأسلوب ميسّر وسهل لعلماء معاصرين ثقات معتدلين أمثال الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ والدكتور راتـب النابلسي ـ أطال الله عمره –، وقدَّمنا ذلك من خلال طباعة متميزة في عدد مقبول ومعقول من الصفحات ليس بالكبير، وسـنعمل – إن شاء الله – على وضع هذه الإصدارات على قنوات التواصل الاجتماعي أيضًا.

ونرجـو ممـن قرأ هـذه الكتـب ووجـد فيها القبـول أن ينقـل هذه المعلومـات بأسـاليبه الخاصة والسـهلة وبإيجابية إلى الزمـلاء والأصدقاء

والأحباب والأجيال الجديدة بالطريقة التي يفضلونها ويستمتعون بها، بإرادة تبتغي وجه الله تعالى، وسيجزي الله الجميع خيرًا كثيرًا.

وقد راجع سلسلة الكتب هذه ودقّقها وأضاف فيها مشكورًا الأستاذ محمد عماد قلب اللوز ـ حفظه الله، الأستاذ باللغة العربية والشريعة الإسلامية جزاه الله كل خير.

وقد ابتدأنا هذه السلسلة بهذا الكتاب الذي يحتوي على شرح وتفسير أعظم سورة في القرآن الكريم، وهي «سورة الفاتحة»، وأعظم آية في القرآن الكريم، وهي «آية الكرسي»، ونسأل الله القبول والتوفيق، وما كان منها من خير فبتوفيق من الله تعالى، وإن كان من تقصير في هذا الأمر فمن أنفسنا، فنستغفر الله العلي العظيم، ونسأله العفو والعافية وحسن الختام لنا ولجميع أولادنا، وأحبابنا، وأهلينا، ومجتمعاتنا، وسائر الأمة الإسلامية.

القرآن والإيمان والإسلام

أ- القرآن الكريم

وهو كلام الله سبحانه وتعالى وقد أنزل اللهُ سبحانه «القرآنَ الكريم» وحيًا على رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، وكان يتم «الوحي» بإرسال سيدنا جبريل عليه السلام بأمر ربنا عز وجل إلى رسول الله ليلقي عليه ويعلمه آيات القرآن الكريم، وقد نزل بعض القرآن الكريم على الرسول الكريم وهو في مكة المكرمة، وكانت تلك الآيات تسمى «المكيَّة»، وكانت الآيات في هذه الفترة (عشر سنوات) تتعلّق بالعقيدة والتوحيد.

وبعد الهجرة كانت الآيات التي تتنزل تسمى الآيات «المدنية»، (حيث استقر النبيﷺ بها ولمدة ثلاث عشرة سنة) وهذه الآيات تُعْنَى بالأحكام والتشريع، بعد أن استقر الأمر للرسول والمسلمين.

فالقرآن نزل على الرسول الكريم مفرَّقًا خلال ثلاثة وعشرين عامًا، وكان ينزل بإرشادات وتعاليم من الله سبحانه حسب أحوال الناس في ذلك الوقت وإلى يوم القيامة.

ورسالة الإسلام عالميةٌ؛ قال الله تعالى للرسول ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الأنبياء/ ١٠٧، أي لكافة الناس.

كان الرسول الكريم ﷺ ينقل هذه الآيات التي أُوحيَ بها إليه ويتلوها على أصحابه الذين كانوا يحفظونها عن ظهر قلب، ويطبقون ما ورد فيه من تعاليم وإرشادات ولا يخفى أن من إعجاز القرآن أن الذي

نقله نبيٌّ «أُمِّيٌّ» لا يقرأ ولا يكتب؛ حتى لا يتقوَّل عليه الناس بأنه قد كتب القرآن وألَّفه من الكتب السماوية السابقة.

وكان الصحابة الكرام يكتبون القرآن كما كان يتلوه عليهم الرسول ﷺ، وكانوا يدوِّنوه على الرِّقاع وغيرها مما كان يُكتَب عليه في ذلك الوقت.

وقبل وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام نزل سيدنا جبريل عليه السلام على الرسول الكريم وتذاكر معه القرآنَ مرتين، ورتّب الآيات في السُّوَرِ، وسمى السُّوَرَ كما هي عليه الآن، وبذلك يكون ترتيب هذه السور وأسماؤها «تَوقِيفِيًّا»، أي: من عند الله عز وجل، فلا تبديل ولا تغيير إلى يومنا هذا، وسيظل إن شاء الله إلى يوم الدين؛ لأن الله سبحانه وتعالى تكفّل بجمع وحفظ القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ الحجر/ ٩، وبذلك يكون الرسول الكريم ﷺ هو أول من جمع القرآن في قلوب وعقول صحابته الكرام.

وبعد وفاة الرسول ﷺ، تسلَّم سيدُنا أبو بكر الصديق الخلافةَ، وقد تردَّد في جمع الرِّقاع التي كُتب فيها القرآن؛ حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعله، ولكنه بعد ذلك جمع الرِّقاع والألواح كلَّها في مكان واحد، ثم تابع سيدُنا عمر بن الخطاب مِن بعدِه، فنسخها في مصحف واحد من رِقاع الجلد، واحتفظ بنسخة كاملة من القرآن عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ولما توفِّي سيدنا عُمر رضي الله عنه قرر الخليفةُ الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه جَمعَ كلِّ الرِّقاعِ والألواحِ التي كان الصحابةُ يحتفظون

بها، وقارنها بالنسخة التي كانت عند السيدة حفصة رضي الله عنها، ونسخ منها ستَّ نُسَخٍ على صُحُفٍ، وأحرق جميع الرقاع والألواح المكتوبة قبل ذلك الوقت، واحتفظ بنسخة من هذه الصُّحُفِ عنده في المدينة المنورة، وأرسل النسَخ الأُخرى إلى مكة المكرمة والشام ومصر واليمن والعراق للوُلاة لتكون المرجِع لهم، ليتمَّ العمل وفقَها، بعد ذلك أخذ الخلفاءُ المسلمون والولاة الذين تولوا أمر الأمة الإسلامية بنسخ القرآن على صحف ومراجعتها بحرص شديد مع النسَخِ الأصلية، بإشراف العديد من العلماء الثِّقات الذين كانوا يراجعون كلَّ آيةٍ وحرف بما يثبت عن الرسول الكريم بالتواتر، مما هو موجودٌ في مصحف سيدنا عثمان ورسمه، وسمِّي بـ «المصحف العثماني»، أي: المكتوب على صحف في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه.

والجدير بالذكر أن المصحف الشريف الذي كان لسيدنا عثمان في المدينة المنورة مازال محفوظًا إلى الآن في أحد المتاحف بتركيا.

وقد حفظ لنا الصحابةُ الكرام رضوان الله عنهم – أيضًا – أسبابَ نزول الآيات على الرسول الكريم ﷺ.

ويحتوي القرآن الكريم على آيات «مُحْكَمَةٍ»، أي: واضحةٍ، وآيات «مُتَشابِهَةٍ»، أي: تحتمل التأويلَ على اختلاف الأمكنة والعصور، ومرجعُها الأولُ والأخير هو الآيات «المُحكمة»، بحيث لا تتناقض معها، وبذلك تكون آيات القرآن كلها «مُحكمة».

وفي القرآن آياتٌ كونية كثيرة علمية معجِزةٌ تتعلق بالكون ومخلوقات الله عز وجل لنتفكر فيها ولنتدبَّرها على مدى العصور؛

فما ذُكر في القرآن الكريم صالحٌ لكل زمان ومكان ولكافة البشرية، من ذلك: الآيات التي تذكر مراحلَ خلق الإنسان، ومنها في سورة المؤمنين ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

هذا وقد ألَّف الكثير من العلماء السابقين والمعاصرين في مقاصد القرآن الكريم، واتفق معظمهم أن المقاصد الكلية للقرآن الكريم في: *التوحيد، *النبوة، *البعث والنشور والحساب، *العدل والمساواة، وقد قسموا محتويات القرآن الكريم إلى عدة محاور عامة:

• منها ما يتعلق بالعقيدة والإيمان والتوحيد وأسماء وصفات الله عز وجل.

• ومنها ما يتعلق بقصص الأنبياء السابقين وأقوامهم.

• ومنها ما يتعلق بالكون الدّال على خالقه، وسبب وجودنا، ونِعَم الله علينا، ومصيرنا بعد الموت.

• ومنها ما يتعلق بالتربية (الأخلاق) والتشريع والمعاملات والأحكام التي يتوجب على المسلمين العمل بها أثناء ممارسة حياتهم.

وهناك بعض الأحكام لم تُفصَّل في القرآن الكريم، وقد أرشد الرسول ﷺ إليها، فمثلاً كيفية الصلاة وأوقاتها والدعوة لها ومناسك

الحـج والعمرة ونصـاب الزكاة وغيرها مما ثبت عنه صلى الله عليه وسـلم في الأحاديث الصحيحة.

ثـم إن في القـرآن الكريم «غَيبيَّات»، والغيب: هـو كل ما غاب عن الإنسـان بحيث لا سـبيل إلى مُعاينته أو الوقوف عليه أو تفسـيره بسـبب فارق الزمان أو المكان أو العلم.

ولا يعلـم الغيـبَ إلا اللطيفُ الخبـير، وقد يعلِّمه سـبحانه لأنبيائه ورسـله، أو يخبر عنه في كتبه، فلا سـبيل للإنسـان إلى إدراكـه أو العلم به إلا بطريق الوحي الثابت في الكتاب والسـنة (مـن أقوال وأفعال وتعاليم الرسـول صلى الله عليه وسلم)، وذلك كالسـماوات وما فيهن، والملائكة، والجنة والنار، والشـياطين والجن، وكذلك مـآلات الأمور في حياة البشر إلى مـا هنالك. وهذه أمور يجب على المؤمن الإيمان بها كحقائق يقينية؛ لأن الله تعالى أخبر عنها (في القرآن أو عن طريق الرسول الكريم)، ومن ادَّعى علمَ الغيب من البشر يُعتبر كافرًا.

ب- الإيمان:

الإيمان لغة: الإيـمان من الأمن؛ لأن العبد إذا آمن بالله صار في أمانه عزوجل، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الأنعام/ ٨٢.

والإيمان: التصديق، وإنما قيل للمصدِّق بالله «مؤمن» لأنه لما استسلم لله صدَّقه.

الإيمان اصطلاحًا:

تصديق بالجنان (القلب)، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

بماذا نؤمن:

جاء في حديث سيدنا جبريل المشهور بيانٌ لما يجب أن نؤمن به، وهو أن نؤمـن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسـله، واليوم الآخـر، ونؤمن بالقدَر خيرِه وشرِّه، وهو ما عُرف بأركان الإيمان.

* ملاحظـة: الإيـمان يزيد وينقص،أي يقـوى ويضعف، وقد حذر الله تعـالى من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه. وقد ذكر لفظ الإيمان ومشـتقاته في القـرآن الكريم حـوالى ٤٣٧ مـرّة، وفي الأحاديث الشريفة ٩٨ مرّة.

بعض الأحاديث النبوية الواردة عن المؤمنين:

١ - عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسألُ عنه أحدًا بعدك، قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ». رواه مسلم.

٢- عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ وَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». رواه مسلم.

٣- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ». رواه الترمذي وأبو داوود.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ». أخرجه الترمذي وأبو داوود وأحمد.

ج- الإسلام:

الإسلام لغة: هو الاستسلام، - أي: الانقياد -.

الإسلام في الشرع:

الإسلام في الشرع على معنيين متباينين، أحدهما: دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، سواءٌ حصل معه الاعتقاد أم لم يحصل، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ الحجرات/ ١٤، والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقادٌ بالقلب ووفاءٌ بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضى وقدَّر، كما ذكر عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ البقرة/ ١٣١، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ آل عمران/ ١٩.

الإسلام اصطلاحًا:

إظهار القبول والخضوع لما أتى به محمد ﷺ، وقيل: إظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ.

وقيل: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، وقيل: والإسلام أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلاً، وهي ما سميت بأركان الإسلام كما وردت في حديث سيدنا جبريل.

الإسلام في القرآن الكريم:

ذكرتْ موسوعة «نضرة النعيم» أنه ورد لفظ الإسلام والمسلمين والمسلمات في حوالى ٥٠ آية في سور القرآن الكريم.

وقال ابن الجوزي: الإسلام في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

أحدها: اسم للدِّين الذي تَدِينُ به، ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ آل عمران/ ١٩.

والثاني: التوحيد، ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ المائدة/ ٤٤.

والثالث: الإخلاص، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ البقرة/ ١٣١.

والرابع: الاستسلام، ومنه قوله عزَّ مِن قائل: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ آل عمران/ ٨٣.

والخامس: الإقرار باللسان، ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ الحجرات/ ١٤.

ويمكـن أن يضـاف إلى ذلك وجه سـادس، وهو الإقرار باللسـان والعمل بالأركان، كما ذكر بعض العلماء.

بعض الأحاديث الشريفة الواردة في الإسلام:

لقـد ورد حـوالى (٨١) حديثًا عن الإسـلام والمسـلم في موسـوعة «نضرة النعيم»، منها:

(١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلًا سـأل النبي ﷺ: أيُّ الإسلامِ خَيرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» رواه البخاري.

(٢) عـن أبي هريـرة رضي الله عنـه قـال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْـلِمٍ أَنْ يَغْتَسِـلَ فِي كُلِّ سَـبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِـلُ رَأْسَـهُ وَجَسَدَهُ» رواه البخاري.

(٣) عـن عبـد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قال: «قَـدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْـلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَـهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» رواه مسـلم. كفافًا: ما يكفيه ولا يزيد عنه.

(٤) عـن أبي موسـى الأشـعري رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُـولَ اللهِ، أَيُّ الْإِسْـلَامِ أَفْضَلُ؟ قال: «مَنْ سَـلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». رواه البخاري ومسلم.

الفرق بين الإسلام والإيمان:

جاء في حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة جميعًا أن النبي ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِم»، فسَّر الإسلام بأمر ظاهر، وهو سلامة الناس منه، وفسَّر الإيمان بأمر باطن، وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم، وهذه الصفة أعلى من تلك، فإن من كان مأمونًا سلم الناس منه، وليس كلُّ مَن سلموا منه يكون مأمونًا؛ فقد يترك أذاهم وهم لايأمنون إليه، خوفًا أن يكون تركُ أذاهم لرغبة أو رهبة، لا لإيمان في قلبه، ويؤكد هذا أيضًا ما جاء في حديث عمرو بن عبسة أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما الإسلام؟ قال: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ». قال: فما الإيمان؟ قال: «السَّمَاحَةُ وَالصَّبْرُ». حيث إن إطعام الطعام عمل ظاهر وكذلك لين الكلام، وأما السماحة والصبر فخُلُقان في النفس.

قال أبو حامد الغزالي -رحمه الله- إختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان أو غيره، وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه ويوجد دونه، أو مرتبط به يلازمه؟ فقيل إنهما شيء واحد، وقيل إنهما شيئان منفصلان، وقيل إنهما شيئان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر. وقد ورد استعمالهما على سبيل الترادف، وقد ورد أيضاً إستعمالهما على سبيل الاختلاف والتداخل.

والخلاصة أن الله أمرنا بالإيمان به وفسّر ذلك بخصال الإسلام وعلى هذا التفسير فالإيمان التام والدين والإسلام سواء (موسوعة النعيم).

والله أعلم...

مقدمة هذا الإصدار
«علمتني الفاتحة وآية الكرسي»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلْق أجمعين، سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أوجب اللهُ عز وجل على عباده قراءة (فاتحة الكتاب) في كلِّ ركعة من صلاتهم فَرضًا كانت الصلاة أو سُنَّةً، قال ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَاب». متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت.

في الفاتحة تعليمٌ من الله لعباده كيف يَحمدونه ويُثْنون عليه ويُمَجِّدونه، ثم كيف يسألون ربَّهم جميعَ مطالبهم.

إن أوَّلَ مايتعلمُ الطفلُ المُسلمُ في حياته سورةُ الفاتحة، ولا يكاد يوجَدُ مسلمٌ في هذه المعمورة لا يحفظها عن ظهر قلب، ولكنَّ كثيرًا من الناس في هذه الأيام يقرؤونها وهم لا يعلمون معانيها وأسرارَها، وهي التي تحتوي اختصارًا موجَزًا لما في القرآن الكريم؛ ولهذا فإنها أعظمُ سورة في القرآن الكريم، قال ﷺ لأبي سعيد بن المصلي رضي الله عنه: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ

سُورَةٍ فِي الْقُرآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسجِدِ... إلى أن قال له: «الحمد لله رب العالمين»، هي السَّبْعُ المَثاني والقُرآنُ العَظيمُ الذي أُوتِيتُهُ» رواه البخاري.

كما أنَّ «أعظم آية» في القرآن الكريم هي آيةُ الكرسي، قال ﷺ: «يا أَبَا المُنذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلتُ: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم»، قال: فَضَرَبَ في صدري وقال: «لِيَهْنِكَ العِلمُ أَبَا المنذِر» رواه مسلم.

فهذه الآية تحوي أسماءَ الله الحُسنى وصفاتِهِ العُلَى، وفيها اسمُ الله الأعظمُ الذي إذا دُعيَ به أجابَ وإذا سُئِل به أعطى، ولها فضلٌ كبيرٌ، كما أنها من آيات «الرقية الشرعية»، وغالبيَّة المسلمين يحفظونها، ولكنهم يقرؤونها دون الاهتمام بمعانيها كما يجِبُ.

فألهمَنَا اللهُ سبحانه وتعالى البحثَ في معاني الكلمات وفي أقوال وخواطر وتفاسير وشروحات العلماء الأفاضل عن «سورة الفاتحة» «وآية الكرسي»؛ لما فيهما من مَعانٍ عظيمةٍ وفوائدَ لا تُحصى، وخُصوصًا في معرفة الإرشادات والدلالات فيما أنزل المَنَّانُ، وبذلك يتحقق لنا الخشوعُ الذي هو من أَجَلِّ المَطالب والتي نحن في أَمَسِّ الحاجة إليها في جميع صلواتنا ودعواتنا، والخشوعُ هو اللَّبِنَةُ الأُولى للإخلاص - بعد الإيمان بالله - في تطبيق ما شرّعه اللهُ لنا، وهي أساس القبول والإجابة بإذن الله.

وقد اشتملت الفاتحة على جميع محاور وأهداف القرآن الكريم، وهي:

١- محور العقيدة، (التوحيد والإيمان).

٢- محور العبادة.

٣- منهج حياة المسلم.

والقـرآن كلُّـه - بعد سـورة الفاتحة - إمـا أن يكون مُبيِّنًـا للعقائد، أو مُبيِّنًـا كيـف نعبد الله عـز وجـل، أو مُبيِّنًا للمناهـج في الأرض وطُرُق الظالمين والضالين والهالكين، وطُرُقِ الناجين.

وسـورة الفاتحـة هـي سـورة قليلـة الألفـاظ، عظيمـة المعـاني، ولهـا خُصوصيات تميِّزُهـا عن غيرها، فـما أحرانا أن نقرأ السـورة بتمعُّن وتأمُّـل وتدبُّـر.

أ- وقفات مع فاتحة الكتاب:

• الوقفة الأولى: تعدُّد معانيها

إن سِرَّ الفاتحة يكمُن في اشتمالها على جميع معاني القرآن الكريم. يقول ابن تيمية رحمه الله: «والإنسانُ يقرأ السورة - سورة الفاتحة - عدة مرات ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكنْ خطر له قبل ذلك، حتى كأنها تلك الساعة نزلتْ، فيؤمن بتلك المعاني، ويزداد علمه وعمله» مجموع الفتاوي ٧/ ٢٣٦.

• الوقفة الثانية: مناجاة بين العبد وربه

أسمعتم أزكى من هذه المناجاة؟ حوارٌ مباشر بين الخالق والمخلوق، لا يشغله ملايين المصلين عنك، كأنك وحدك في هذا العالم. تأمل هذه المنجاة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي -، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة.

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقرأ الفاتحة آية آية، ويسكت بين الآية والأخرى، وحين سئل عن سبب سكوته قال: لأستمتع بردِّ ربي سبحانه.

• **الوقفة الثالثة: توحيد الله سبحانه وتعالى**

في الفاتحة توحيدُ الله سبحانه وتعالى بأقسامه الثلاثة:

أ - توحيد الربوبية في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ب - وتوحيد الأسماء والصفات في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

ج - وتوحيد الألوهية في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

عندها يجب على العبد أن يتذكر أنه يقف:

١ - موقفَ الذاكرِ لله تعالى باسمه الجامع للأسماء الإلهية، وهو اسم الجلالة «الله»، وما أشرفَ مقامَ الذاكرِ لله تعالى وهو سبحانه يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة/ ١٥٢.

٢ - موقفَ الحامِدِ لله تعالى، ومقامُ الحامدين من أشرف المقامات.

٣- موقفَ التمجيدِ لله تعالى، وهو الشرف الأعظم بعزة الربوبية وسيادة الألوهية؛ فإنَّ المجد يدلُّ على شرف المقام وعُلُوِّ الشأن.

٤ - موقفَ الاعتراف بالعبودية لَمَنْ له عزةُ الربوبية وَحْدَهُ.

٥ - موقفَ إقرارِ العبدِ بلزوم القيامِ بما أوجبه سبحانه عليه.

٦ - موقفَ اعترافِ العبدِ بفقره لربه وشدةِ حاجته إليه.

٧- موقفَ التوسُّل وطرقِ باب المنعِمِ ذي الجلال والإكرام.

٨- موقفَ التعوُّذِ والتحصُّنِ من الضلال في العقائد والأعمال والأقوال والأخلاق وجميع الأحوال.

• الوقفة الرابعة: إرشاد لشيء من آداب الدعاء

بَدْءُ الدعاءِ بالثناء على الله تعالى، ثم ذِكْرُ افتقارِ العبد إلى ربه وحاجتِهِ إليه، ثم يذكر مسألَتَهُ.

يقول الحافظُ ابنُ القيِّم رحمه الله - في كلامه على سورة «الفاتحة»-: «ولما كان سُؤالُ الله الهدايةَ إلى الصراطِ المُستقيم أَجَلَّ المطالبِ، ونَيْلُه أشرفَ المواهب، علَّمَ اللهُ عبادَه كيفيَّةَ سُؤالِهِ، وأمرَهُم أنْ يُقدِّموا بين يديه حمْدَهُ والثناءَ عليه وتمجيدَهُ، ثم ذِكْرَ عُبوديَّتِهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، تَوسُّلٌ بأسمائه وصفاته، وتَوسُّلٌ إليه بعُبوديتهم له، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يُرَدُّ معهما الدعاء» مدارج السالكين ١/ ٣١.

• الوقفة الخامسة: دعاء جامع لخَيْرَي الدنيا والآخرة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أَنفعُ الدعاءِ وأعظمُهُ وأحْكمُهُ دعاءُ «الفاتحة» ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾؛ فإنه إذا هداه اللهُ إلى هذا الصراط أعانه على طاعته وتركِ معصيته، فلم يُصبْهُ شرٌّ لا في الدنيا ولا في الآخرة، ويدخل في ذلك من أنواع الحاجات ما لا يمكن إحصاؤه؛ ولهذا كان الناسُ مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة لِفَرْطِ حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيءٍ أَحْوَجَ منهم إلى هذا الدعاء. مجمع الفتاوي.

• **الوقفة السادسة: بيان أن أمَّة الإسلام أمَّةٌ واحدةٌ**

ولذلك فإنك تجدُ كلَّ ألفاظِ المخاطَبة والدعاء في سورة الفاتحة جاءت بصورة الجمع، فلو كان المرءُ يصلي وحيدًا لا تصح صَلاتُه إذا قال: إياك أعبد وإياك أستعين، لا بُدَّ أن يقول: (نعبد) (نستعين) (اهدنا) بصيغة الجَمع؛ حتى يعرف أنه ضمن أمة واحدة.

• **الوقفة السابعة: ميزان الخشوع**

يقول النبي ﷺ: «لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ منْهَا» أخرجه أحمد بإسناد صحيح، فهل نرضى أن نُغادر الصلاةَ وقد كُتِبَ لنا نصفُها أو رُبُعُها أو ثُمُنُها؟؟

• **الوقفة الثامنة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**

أيْ: أبدأ مُستعينًا بالله مُتوكِّلًا عليه، وذُكِر اسمُ (الله) لأنه الاسم الذي تُضاف له كلُّ الأسماءِ الدالَّةِ على كمالِ الأُلوهيَّة، والرحمنُ: واسعُ الرَّحمة، وهي عامَّةٌ لكلِّ مخلوقٍ، والرحيم: بأوليائه من الأنبياء والصالحين في الدنيا والآخرة.

• **الوقفة التاسعة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾**

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلمةٌ، ولكنها تملأ ميزان العبد، وهي آخر كلامِ أهل الجنة ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ يونس / ١٠. وهي ثناء وشكر.

• **الوقفة العاشرة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾**

استحضرْ أنَّ رحمةَ الله سبحانه سبقتْ غضبَهُ، وأنَّ رحمتَهُ وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ وعمَّتْ كلَّ مخلوق، فكيف بِابنِ آدمَ الذي نفخ اللهُ فيه من روحه؟

عـن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرحمَةَ يومَ خَلَقَهَا مِائةَ رحمَةٍ، فَأَمْسَكَ تِسْعًا وتِسْعِينَ رَحمةً، وَأَرسلَ في خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحمَةً واحِدَةً» أخرجه البخاري. وهذه الرحمة التي أمسكها سبحانه هي التي يعامل بها عباده يوم القيامة.

• **الوقفة الحادية عشرة:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾

هو الحاكمُ وَحدَه يوم الحسـاب والجـزاء، يَظهر للخلق تمامُ مُلْكِه في ذلك اليوم؛ وسُمِّي يومَ الدين لأنه اليومُ الذي يُدانُ فيه الناسَ بأعمالهم، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإن شرًا فشرٌّ، فالواجب أن نذكر ذلك الموقِفَ ونُعِدَّ العدةَ له.

• **الوقفة الثانية عشرة:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾

هـذه الآية هي وثيقةٌ بينـك وبين ربك، فالتزمْ بهـا في كل أحوالك، وانْـوِ في جميـع أعمالك الدنيويةِ عبـادةَ لله، يُعْطِك اللهُ العـونَ فيها والأجرَ عليهـا، اسـتعن بربـك في جميـع أمـورك؛ فـما شرع اللهُ الاسـتعانةَ بـه إلا ليُعيـنك.

إن القلـب يتعـرَّض لمرضين عظيمـين، إن لم يتداركهـما العبدُ فإنهما يرميـان بـه إلى التلف، وهما: الريـاء والكِبْر، فدواء الريـاء ـ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ودواء الكِـبْر ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾. يقول شـيخ الإسـلام ابـن تيمية رحمه الله: «تأملتُ أنفعَ الدعاء، فإذا هو سـؤالُ العونِ على مَرضاتِه، ثم رأيتُه في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾».

وفي هذه الآيةُ محوران، كلاهما ضروريٌّ: عبادة الله تعالى بتطبيق الشعائر (إياك نعبد)، والاستعانة بالله (وإياك نستعين)، وبعد الاستعانة به سبحانه

يمكن الاستعانة بما خلق في هذه الأرض وسخَّره وفق منهج الله تعالى. والصحابةُ الكرامُ فهموا هذه الآية جيدًا وطبَّقوها - بمحورَيها - في حياتهم؛ فقادوا الأرضَ، وحقَّقوا النجاح في الدنيا والآخرة، فلا بدَّ من التوازن بين الأمرين.

• **الوقفة الثالثة عشرة:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾

قد يسأل الواحد منَّا: لماذا أسأل اللهَ الهدايةَ إلى الصراط المستقيم وقد هُديتُ إليه؟ إذا كان اللهُ سبحانه اختارَ أن يكون دعاءُ أعظمِ سورةٍ في القرآن هو سؤالُ الله الهداية فهذا يعني طلبَ الثبات على الهداية حتى لا تُفتَنَ ولا تَضِلَّ.

لاحِظ المقامَ الذي يدعو فيه العبدُ بالهداية، إنه ليس مقامَ معصيةٍ، ولا مقامَ ضلالٍ، بل يطلب من الله الهدايةَ وهو في أَجَلِّ لحظاتِ الهداية، قائمًا بين يدَيِ الله سبحانه، والهدايةُ نوعان: هدايةُ دِلالة ببيان الطريق، وهدايةُ توفيقٍ للعَمل، فاستشعرهما في دعائك.

• **الوقفة الرابعة عشرة:** ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

تأمل هذه الآية، إذ أسند اللهُ الإنعامَ إليه سبحانه فقال: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ولم يُسنِدْ إليه الغضبَ، فلم يقل: (الذين غضبت عليهم) وإنما قال: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، وقد ذكر المفسرون رحمهم اللهُ وجوهًا للتفريق منها:

١ - أن النعمة من باب الخير والفضل، والغضب من باب الانتقام والعدل، وطريقة القرآن إسناد الخيرات والنعم إليه سبحانه وتعالى، وحذف الفاعل في غير ذلك.

٢ - أن الله سبحانه هو المتَفرِّد بالإنعام، بخلاف الغضب، فمَن غضِب اللهُ عليه غضبت عليه ملائكته وأنبياؤه وأولياؤه الصالحون.

٣- أن في ذكر فاعل النعمة تكريمًا للمنعَم عليهم، وفي حذف فاعل الغضب إهانةً وتحقيرًا للمغضوب عليهم وتصغيرًا من شأنهم.

وفي ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ أضاف الله عز وجل الصراطَ للسالكين له لتزول الوحشةُ عن سالكِ هذا الصراط، ويعلمَ أنَّ له رُفقاءَ في هذا الطريق هم الذين أنعم اللهُ عليهم؛ فلا يكترثَ بمُخالفةِ مَن حادُوا عن الصراط، فإنهم وإن كانوا أكثرَ عددًا فإنهم أقلُّ قدرًا، ومن سلك طريقَ المنعَم عليهم في الدنيا كان معهم يوم القيامة.

ب- وقفات مع آية الكرسي:

كما أن لنا وقفات مع الآية الأعظم في القرآن الكريم، وهي «آية الكرسي»، ومما استوقَفَنا في هذا المقام قولُ بعض العلماء: إن من أسباب ورود هذه الآية وسط الكلام عن المنهج الذي أرادنا اللهُ أن نطبِّقه -أننا أثناء تطبيق هذا المنهج نحتاج إلى ما يُثبِّتنا ويُشعرنا بأن هذا المنهج هو من عند الله تعالى، وأن اللهَ وليُّ من يطبِّق هذا المنهج ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ البقرة/ ٢٥٧، حيث ذكر بعد آية الكرسي ثلاثَ قصصٍ تعرض نماذجَ حياتِيَّةً لتؤكدها:

أ – قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ البقرة/ ٢٥٨.

ب – وقصة عُزَيْر ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ البقرة/ ٢٥٩.

ج – وقصة سيدنا إبراهيم حين أراد أن يطمئن قلبُه بمعرفة طريقة إحياء الموتى إذ قال لربه: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ البقرة/ ٢٦٠.

فهذه القصص تؤكد قدرةَ الله تعالى على الإحياء والإماتة، تأكيدًا لقوله تعالى في بداية آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾، وتؤكِّد قدرةَ الله وعظمته بأروع كلام عرفته البشريةُ في تاريخها، وقد جاءت بعد آيات المنهج المطلوبِ اتِّباعُه لتقوية إيمان المسلم ويقينِه بالله؛ فتكون عونًا له على تحمُّل تَبِعاتِ هذا المنهج؛ لما احتوت عليه من معاني التوحيد والعظمة، فاسم الله «الحيُّ» يتضمن جميعَ الصفات الذاتية، واسمه «القيوم» يتضمن جميعَ صفات الأفعال؛ فآيةٌ احتوتْ على هذه المعاني التي هي من أجلِّ المعاني يحق أن تكون أعظمَ آيات

القـرآن، ويحق لمن قرأها متدبِّرًا مُتفهِّمًا أن يمتلـئ قلبُه من اليقين والعِرفان والإيمان، وأن يكون بذلك محفوظًا من شرور الشيطان وأعوانه.

وقـد تـمَّ شرحُ هذيـن الموضوعين في فصلـين اثنين: الأول سـورة الفاتحة، والثاني آية الكرسي، وقد قُمنا بالاسترشاد بأقوال وتفاسير العلماء المعاصريـن لقربهم من واقعنـا وتناولهم أمور الحياة مـن جوانبها العديدة وخصوصًا التي استُحدثتْ ولم تكن في عصور السلف.

الفصل الأول

سورة الفاتحة

سورة الفاتحة

آياتها:

عدد آياتها «سبع آيات»، وترتيبها: السورة الأولى من المصحف الشريف، وهي سورة "مكيَّة" على الأرجح، وليست هي أول ما نزل من القرآن الكريم.

تسميتها:

روى الإمام البخاري عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنتُ أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أُجِبْه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾؟»، ثم قال لي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ»، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقُلْ لأعلمنك سورةً هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...﴾، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذِي أُوتِيتُه».

ولهذه السورة أسماء عِدَّة، قيل: عشرة أسماء، وذكر العلماءُ أسباب هذه التسميات، ومنها:

أ – سمِّيت «السبعَ المثاني» لأنها سبعُ آيات، وهذا هو المشهور، وقيل غير ذلك.

ب – سورة «الفاتحة»؛ لأن المصحف الشريف يفتتح بها، وسمّاها النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الاسم حيث قال: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ». متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت.

ج – «أم الكتاب»،؛ قال رسول الله ﷺ: «الْحَمْدُ للهِ أُمُّ الْكِتَابِ والسَّبْعُ المَثَانِي». رواه الترمذي عن أبي هريرة ؛ وذلك لاشتمال هذه السورة على المعاني الأساسية العامة المذكورة في القرآن.

د – سورة «الصلاة»؛ لأنها لا تتم الصلاة إلا بها في كل ركعة.

هـ – سورة «الحمد»؛ لأنها تبدأ بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

و – كما ورد أن الرسول ﷺ سمّاها سورة «الأساس»؛ لأنها أساسُ القرآن لما فيها من مَعانٍ وتوجيهات إجماليَّةٍ.

ز – وسمِّيت بسورة «الشفاء»، لأن الرسول ﷺ قال: «فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ». رواه البيهقي.

ح – وسمِّيت «أم القرآن» فقد قال عليه الصلاة والسلام: «أُمُّ القُرْآنِ عِوَضٌ غَيْرِهَا، وَلَيْسَ غَيرُهَا عِوَضًا عَنْهَا». رواه الحاكم.

ط – وسمِّيت أيضاً بسورة «الواقية»، و «الكافية» و «الكنز»؛ والله أعلم.

فضائل سورة الفاتحة

١- قال الرسول ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَلَا الزَّبُورِ وَلَا الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، إِنَّهَا السَّبْعُ المَثَانِي». رواه أحمد.

٢- وهي رُقْيَةٌ للشفاء من الأمراض والعلل. روى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ فَمَرَرْنَا عَلَى أَهْلِ أَبْيَاتٍ فَاسْتَضَفْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا، فَنَزَلْنَا بِالْعَرَاءِ فَلُدِغَ سَيِّدُهُمْ، فَأَتَوْنَا فَقَالُوا: هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَرْقِي؟ فَقُلْتُ: أَنَا أَرْقِي، فَقَالَ: فَارْقِ صَاحِبَنَا، فَقُلْتُ: لَا؛ قَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، قَالَ: فَإِنَّا نَجْعَلُ لَكُمْ [الجُعْلُ: الأجر يُعطى على عملٍ ما]، قَالَ: فَجَعَلُوا لَنَا ثَلَاثِينَ شَاةً، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَجَعَلْتُ أَمْسَحُهُ وَأَقْرَأُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَأُرَدِّدُهَا حَتَّى بَرَأَ، فَأَخَذْنَا الشِّيَاهَ، وَقُلْنَا: أَخَذْنَاهَا وَنَحْنُ لَا نُحْسِنُ أَنْ نَرْقِيَ، مَا نَحْنُ بِالَّذِينَ نَأْكُلُهَا حَتَّى نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْنَاهُ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا دَرَيْتُ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، وَلَكِنْ شَيْءٌ أَلْقَاهُ اللهُ فِي نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَكُلُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ». رواه ابن حبان في صحيحه.

الاسترقاء بالفاتحة نغفلُ عنه كثيرًا، وقد نقرأ ولا نرى الأثر مباشرة؛ وذلك لضعف اليقين أو غفلة القلب، فيجب الانتباه إلى ذلك.

٣- تُقرأ عند النوم للأمان. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «إذَا وَضعتَ جَنبكَ عَلَى الفِراشِ وَقَرأتَ فَاتِحَةَ الكِتابِ و قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ فَقَد أمِنتَ مِن كُلِّ شَيءٍ إلَّا المَوتَ». رواه البزار.

٤- هي شفاءٌ من كل داء. روى الدارمي والبيهقي بسند رجاله ثقاتٌ عن عبد الملك بن عمير قال قال رسول الله ﷺ: «فَاتِحَةُ الكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ». وقد كان ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالفاتحة والمعوِّذات وينفُثُ بها على جسده الشريف، كما كان يفعل ذلك عند النوم أيضًا.

٥- روي عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن فاتحة الكتاب فقال: «حدثنا نبيُّ الله ﷺ أنها نزلتْ من كنز تحت العرش»، والمعنى أنها مكنوزة لهذه الأمة ومخصوصة بها لما جمعَتْهُ من المعاني والفضائل والأسرار والأنوار التي ولا يحتمِلُ نزولَها إلا سيدنا محمد ﷺ.

٦- تحفظ من شر العين الحاسدة. روى الديلمي في الفردوس عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: «فاتحة الكتاب وآية الكرسي لا يقرؤهما عبدٌ في دار فتصيبهم في ذلك اليوم عينُ إنسٍ ولا جِنٍّ».

٧- وهي تُقرأ لقضاء الحاجات. روى أبو الشيخ عن عطاء قال: «إذا أردت حاجة فاقرأ بفاتحة الكتاب حتى تختمها تُقْضَ إن شاء الله».

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

معاني الكلمات:

١ - بِسْمِ ٱللَّهِ: أبتدئ باسم «الله» تعالى، والاسم «الله» يعمُّ جميعَ أسماء الله الحسنى.

١ - ٱلرَّحْمَٰنِ: اسم من أسماء الله تعالى، مشتقٌّ من الرحمة، دالٌّ على كثرتها وسعتها عنده تعالى، فتعُمُّ كلَّ مخلوق حتى الكافرين.

١ - ٱلرَّحِيمِ: اسم وصفة لله تعالى، مشتقٌّ من الرحمة، وهذه الرحمة هنا خاصة بالمؤمنين.

٢ - ٱلْحَمْدُ: الثناء على المحمود ذي الفضائل، كالمدح والشكر معًا.

٢ - لِلَّهِ: اللام حرف جر معناه (الاستحقاق)، أي: إنّ الله مستحق لجميع المحامد.

٢ - رَبِّ: السيد المالك المصلح المُربي بكل أنواع التربية.

٢ - ٱلْعَٰلَمِينَ: جمع عالَم، وهو كلُّ ما سوى الله تعالى، كعالَمِ الملائكة، وعالَمِ الجن، وعالَمِ الإنس، وعالَمِ الحيوان، وعالَمِ النبات.

٤ - مَٰلِكِ: صاحب المُلْك، المُتصرِّف به كما يشاء.

٤ - يَوْمِ ٱلدِّينِ: يوم الحساب والجزاء، وهو أحد مراحل يوم القيامة، حيث يجزي اللهُ كلَّ نفسٍ بما كسبت.

٥ - إِيَّاكَ: ضميرُ نصبٍ يخاطَب به هنا الله سبحانه وتعالى.

٥ - نَعْبُدُ: نُطيعُ، مع غاية الحُبِّ والذلِّ للمعبود سبحانه، وتقديم (إياك) يفيد الاختصاص والحصر، أي: لا نعبد غيرك، ولا نستعين إلا بك.

٥ - وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ: نطلب عونَك لنا على طاعتك وفي جميع أمورنا.

٦ - ٱهْدِنَا: أَرشِدنا ودُلَّنا وأدِمْ هدايتَنا.

٦ - ٱلصِّرَٰطَ: الطريقَ المُوصِلَ إلى رضاك وجنتك، وهو الإسلام.

٦ - ٱلْمُسْتَقِيمَ: الذي لا مَيْل فيه عن الحق ولا زيغ عن الهدى.

٧ - صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: طريق (تعاليم) النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وكلِّ مَنْ أنعم اللهُ عليهم بالإيمان به تعالى ومعرفتِهِ، ومعرفة محَابِّه ومَسَاخِطِهِ، ثم وفّقهم لفعل المحابِّ وترك المكاره.

٧ - غَيْرِ: لفظ يُستثنى به، كـ (إلا).

٧ - ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ: مَن غضب اللهُ تعالى عليهم لكفرهم وإفسادهم في الأرض وتركِهم العملَ بما وصلهم من العلم، كاليهود المتآمرين وأمثالِهم.

٧ - وَلَا ٱلضَّآلِّينَ: مَن أخطؤوا طريقَ الحقِّ فعبدوا اللهَ بما لم يَشْرَعه، كالمشركين والخوارج وغيرهم.

من هداية الآيات

الآية: ١- يجب ذِكْرُ «اسم الله» قبل البدء بأيِّ عمل.

الآية: ٢- أن اللهَ تعالى يُحِبُّ الحمدَ؛ فلذا حَمِدَ تعالى نَفْسَهُ وأمر عبادَهُ بحَمْدِهِ.

الآية: ٢- ٣- ٤- أن المدح يكون لمقتضَى، وإلا فهو باطلٌ وزُوْرٌ، فالله تعالى لَمَّا حمِد نفسَه ذكر مقتضَى الحمدِ، وهو كَونُه ربَّ العالمين، والرحمنَ الرحيمَ، ومالكَ يومِ الدين.

الآية: ٢- ٣- ٤- أدب الدعاء؛ حيث يقدِّم السائلُ - قبلَ دعائه - حَمْدَ الله والثناءَ عليه وتمجيدَه، وزادت السُّنَّةُ الشريفة الصلاةَ على النبي ﷺ، ثم يسأل حاجتَه؛ فإنه يُستجاب له بإذن الله.

الآية: ٥- أن لا يعبدَ الإنسانُ غيرَ الله، وأن لا يستعينَ إلا به سبحانه وتعالى.

الآية: ٦- الترغيب في دعاء الله والتضرُّع إليه في كل أحوال الإنسان، وفي الحديث: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ». رواه أحمد في مسنده.

الآية: ٧- الترغيب في سلوك سبيل الصالحين، والترهيب من سلوك سبيل الغاوِين والضالِّين.

الآية: ٧- الاعتراف بنِعَمِ اللهِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى.

الآية: ٧- طلب القُدْوَةِ الحسنةِ في جميع أقوالنا وأفعالنا.

تنبيهان:

١ - كلمة (آمين) ليست من الفاتحة، ويستحَبُّ أن يقولها الإمامُ إذا قرأ الفاتحةَ، يمُدُّ بها صَوتَه، ويقولُها المأمومُ والمُنْفَرِدُ كذلك، لقول الرسولﷺ: «إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا». رواه البخاري برقم (٧٣٨). أي: قولوا آمين، ومعناها: اللهم استجب دعاءنا، ويستحَبُّ الجهرُ بها؛ لحديث ابن ماجه: كان النبيﷺ إذا قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: «آمين»، حتى يسمعَها أهلُ الصفِّ الأولِ فيَرْتَجُّ بها المسجدُ. رواه ابن ماجه في سننه برقم (٨٤٣).

٢- البسملة آيةٌ من سورة الفاتحة عند الإمام الشافعي رضي الله عنه، أما باقي الأئمَّةِ فلا يعتبِرُون البسملة آيةً من الفاتحة، واعتبروا ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هي الآية السادسة، و ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ هي الآية السابعة.

التفسير الموضوعي لسورة الفاتحة[1]

سورة الحمد من قِصار السور، ولكنها أمُّ الكتاب، وأعظمُ سُوَرِهِ، تضمنَت خلاصةً وجيزةً لعقائد الإسلام، وعَهدًا وثيقًا بين الناس وربِّهم يحقِّقُ رسالَتهم في الوجود، ورجاءً في الله أن يهدي الطريق، ويمنح التوفيق، ويُنْعم بالرضا.

ولنَنْظر في الآية الأولى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، الحمدُ لفظٌ تلتقي فيه مَعانٍ ثلاثةٌ، فهو ثناءٌ يكشف عن أمجاد الذات العليا من جلال وجمال وكمال، وهو مديح على ما ننال من عطاء ونَعماء جادَ بها وَلِيُّ النِّعَم، وهو شُكرٌ يقابِل الخيرَ النازل والفضل المُسْدَى.

وعندما نصبح فنقول مثلًا: «الحمد لله الذي أحيانا من مَمَاتِنا وإليه النشور» فنحن نثني ونمدح ونشكر.

و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: سيدُ العوالم كلِّها من العَرش إلى الفَرش، من السماء إلى الأرض، من الحيوان إلى النبات، من الملائكة إلى البشر. والعالَمُ مَرْبُوبٌ له فقير إليه، نعم، كلُّ ما عدا الله عبدٌ له، صنيعةُ نِعمته، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾. الجاثية/ ٣٦-٣٧.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، نحن في رحمته نعيش، والرحمة والعلم يَسَعَانِ كلَّ شيءٍ، ولولا أن اللهَ غفورٌ رحيمٌ لفتكتْ بنا معاصينا وقضى علينا جُحودُنا وطغياننا. ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، المقصود بالدين الجزاء، وهو بداية العالَم

١- مقتبس من كتاب «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم» للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله.

الآخِـر، وهو المقابل لعالمنا المعاصر. والحضارةُ الماديَّةُ المسـيطِرة على الحياة الآن قلَّما تذكره، بل لعلها ترى من الهزل ذِكْرَه.

وهي تتعمَّدُ نسـيانه في ميادِيـن التربية والتشريع والسياسـة الدولية والمحلية، مع أنه الحقيقة العُظمى الأَجدرُ بالرعاية والحساب.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، نعبدك وحدَك يا الله، ونسـتعين بك يا رب لا بغيرك؛ فكلُّ غيرٍ محتاجٌ إليك، كما جاء في السـنة: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْـنِ عِبَادَتِكَ». رواه الحاكم في المستدرك من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا، برقم (١٠١٠)، «إِذَا سَـأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْـتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله». رواه الترمذي عن ابن عباس مرفوعًا، برقم (٢٤٤٠).

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ....﴾، الخطُّ المستقيمُ أقـصرُ طريـقٍ بين نقطتين؛ ولذلـك لا يتعدد، ومن اسـتقام اهتدى إلى الله ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. هود/ ٥٦.

وديـن الله واحدٌ، بلَّغه الأنبيـاءُ على اختلاف الأعصـار والأمصار، أساسـه إلـه واحـد، لـه الـوَلاء، ولـه الثنـاء، يفتقـر إليـه أهـلُ الأرض وأهـلُ السـماء.

ولعل هذه النقطةَ مَثَارُ الخلاف بين أتباع الأديان المعاصرة، فالمسلمون يُوقِنون بأن ما عدا الله عبدٌ له خاضعٌ لحكمه عانٍ لأمره في الدنيا والآخرة. ويسـتحيل أن يتجاوز هـذه الحقيقةَ بشرٌ أو مَلَكٌ.. فمـن لَزِمَها نجا، ومن زاغ عنها هلك.. وكلُّ مَن أحسن طاعة الله ورسله بلغ هذه الغاية، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾، النساء/ ٦٩، أما مَـن

أشرك بالله شيئًا، أو رفض الانقياد لأمره، فهو بين الضلال والغضب، لا أملَ له، ولا خير فيه..

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، على الإنسان أن يكون صائبَ الفِكر صادق النظر، فإذا اهتدى إلى الحق فعليه أن يعمل به ويتواضع لربه، ويرفُق بعباده.

وهذه السورة فرَض اللهُ قراءتَها في جميع الصلوات؛ لتكون مُناجاةً مُتجدِّدة مقبولة بين الناس ورب الناس، فهي حقائق علمية، وهي في الوقت نفسه ضراعةُ عبدٍ يَنْشُدُ رضا مولاه، وقد جاء في السُّنَّة: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي -، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة.

نحن نكرِّرُ الدعاءَ لأنفُسنا، كما نكرر غسلَ أعضائِنا؛ لأن أسباب هذا التكرار قائمةٌ، فالجسم الإنساني لا يكفي في تطهيره أن يُغسَل مرةً أو مرَّتين، لابدَّ من تكرار الغسل مدى الحياة. والطبع البشريُّ لا تَصْقُلُهُ دعوةٌ أو دعوتان، لا بد من تكرار الوقوف بين يدي الله؛ لأن رُعُوناتِ النفس ووساوسَ الشيطان لا تنتهي، فلا بد من تكرار الدعاء،

واستدامة التضرُّع ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾.

سورة النساء/ ١٠٣.

وهكـذا - في سُـطور قَلائِلَ تمَّ تصويرُ العلاقـة الوحيدة الممكنة بين النـاس ورب النـاس، الاعترافُ بـه، والثناء عليـه، والاسـتعداد للقائه، والتعهُّد بعُبوديَّته، ثم الرجاء إليه أن يجعلنا كما يجب.

من خواطر الدكتور راتب النابلسي
في تفسير سورة الفاتحة

قال عليه الصلاة والسلام: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ». رواه مسلم عن عبادة بن الصامت. وقال ربُّنا عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾. آل عمران/ ٧، وآياتُ الفاتحة كلُّها آياتٌ محكماتٌ.

يقول ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل/ ٩٨، أجمع العلماءُ على أنَّ كلمة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ليست آيةً، وهي تُقرأ في الصلاة ولكن سرًّا، تقول: سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرك -سرًّا، ثم تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم سرًّا أيضًا.

اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا، قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَو قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَو قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». رواه البخاري عن سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ.

«العَوْذُ» هو الالتجاء لقويٍّ كي تتقي به الشرَّ، وأما «اللَّوذُ» فهو بمعنى الاحتماءِ بقويٍّ من أجل أن يجلب لك الخيرَ، فربُّنا سبحانه وتعالى يأمرنا أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وأما كلمة «الله» فهي اسم الله الجامعُ للأسماء الحسنى كلِّها، وهو عَلَمٌ على الذات، فإذا قلت: «الله»، فإن الأسماء الحسنى كلها جمعت في كلمة «الله».

و«الشيطان» سُمِّي شيطانًا لأنه شَطَنَ، بمعنى ابتعد وخرج عن طريق الحق، إذًا الشيطانُ ذلك المخلوق الذي خرج عن المنهج الإلهي،

وكلُّ مخلوقٍ خرج عن المنهج الإلهي فهو شيطان، هناك شياطين الإنس، وهناك شياطين الجن، قال تعالى:

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ القصص/٧٦، أي الفرح الذي يصحبه الكبر والبغي والطغيان، وبغى: يعني خرج عن طريقتهم الصحيحة، «الطغيان» خروج عن طريق الحق، و«البغي» خروج عن طريق الحق، و«الفسق» خروج عن طريق الحق.

مُلخَّصُ الكلام أن لله في الأرض منهجًا، وأن لله في الأرض قرآنًا، وشرَعَ لنا شرعًا، فما دمت ضمن الشرع فأنت في سلام، في حياتك الدنيا وفي الآخرة، فإذا خرجتَ عنه دفعتَ الثمنَ، ما دُمتَ في طاعة الله فأنت في ظل الله وذِمَّته، فإذا خرجت عن طاعته خرجت من ظِلِّه، وعليك أن تتحمَّل المتاعبَ حينئذٍ.

جاء أعرابيٌّ إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله عِظْنِي وَأَوْجِزْ، قال: «قُلْ آمَنْتُ بِالله ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قال: أريد أخفَّ من ذلك، قال: «إِذًا فَاسْتَعِدَّ لِلْبَلَاءِ». أخرجه مسلم.

قضية واضحة كالشمس، إما أن تطبِّق التعليمات، وإما أن تستعد للبلاء، قل أعوذ بالله من الشيطان، هذا المخلوق الذي طغى، والذي غوى، والذي بغى، والذي شطن بمعنى ابتعد.

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يعوذ بالله من كل شيء، من دار يدخلها، ومن دابة يركبها... والمؤمنُ من علامة إيمانه أنه دائمًا يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنْ يُضِلَّهُ.

أما ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فلها حديث طويل، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النمل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ سورة النمل/ ٣٠، ونبيُّنا محمدٌ ﷺ كان من سُنَّتِهِ المطهَّرة أنه كان يبدأ كلَّ أفعاله ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، أي: أبدأ باسم الله، وأسماء الله كلُّها حُسنى، أبدأ عملي باسم الله، آكل باسم الله، أُصدِر هذا الحكم (كقاضٍ) باسم الله...

إذا أردت أن تأكل، وقلت: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فهذا يعني أن هذا الطعام الذي تأكله إنما هو من نعمِ الله عز وجل، فكلُّ هذا الطعام باسم الرزاق، كل هذا الطعام باسم المغني، باسم المقيت، باسم المجيد، باسم الواهب، باسم اللطيف، باسم الله، فالبسملة بحسب الموضوع الذي أنت مُقبِلٌ عليه، فهل فكرت في ذلك؟

إذا شربتَ ماء وقلت: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، هل فكَّرت في أن هذا الماء أصلُه من بحار شاسعة، فتبخر ماؤها بواسطة الشمس، وتقطَّر، وأصبح بخارًا عالقًا في الجو، واجتمع سحبًا ساقته الرياح إلى أرض عطشى، أنزله الله بفضله وبقدرته ماءً ثجَّاجًا أنبت به الزرعَ والزيتون، أودعه في الجبال، فجَّره ينابيع، أساله أنهارًا، فالشمس ساهمت في هذا الكأس، والمجرَّات، والأنواء، والمناخ، والرياح، والحرارة، والبرودة، والجبال؛ فينبغي أن تشربه وتحمد الله عز وجل، وأن تُبعِد الإناءَ عن فمِك، ولا تتنفس في الإناء، هذه سنة النبي المطهرة، بين الشربتين أَبعِدْ القدح عن فمك لئلَّا يختلط النَفَسُ بالماء، قال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْمَاءِ». أخرجه البخاري عن أبي قتادة.

إذا قُدْتَ سيارتك وقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، فليبادر ذِهنُكَ إلى السؤال: أين أنت ذاهب؟ هل أنت ذاهبٌ إلى مكان لا يرضي اللهَ عز جل، باسم الله ستنثني عن ذهابك وتعود إلى صوابك.

هل تشكر اللهَ على نعمة المركبة [السيارة]؟ هل تسخِّرها لخدمة عباد الله؟ هل تُعين بها الضعيفَ؟ هل تنقِذ بها المريضَ؟... القضية واسعة جدًّا، النبي عليه الصلاة والسلام قال: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِاسْمِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ». أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة. (أبتر): مقطوعُ الخير.

إذا أَلَّفتَ كتابًا، هل تذكر فيه شيئًا باطلًا؟ إذا كتبت في صدر صفحاته «باسم الله» فإنك ستُدقِّق: هل هدفك من هذا التأليف خالص لوجه الله؟ أم تبتغي به السمعةَ والرِّفعةَ، «باسم الله» تجعلك على بصيرة من الأمر.

هذه البسملة ينبغي أن تدور مع الإنسان في كل نواحي حياته، وفي كل نشاطاته، وهي تضعك أمام شيئين، تذكِّرك بنعم الله عز وجل، وتذكِّرك بأمر الله في هذا الموضوع، في الطعام، في الشراب، في دخول المنزل، في الخروج إلى السوق.

كان النبي الكريم ﷺ يعوذ بالله من صفقة خاسرة إذا دخل السوق، ويمينٍ فاجرة، يقول لك البائع: الله وكيلك بعتُك برأسمالها، وهو يكذب، لقد باع دِينَه كلَّه بكلمة واحدة.

إن العلماء حاروا في الفرق بين الرحمن والرحيم في قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال بعضهم: «الرحمن» في ذاته، و «الرحيم» في أفعاله، وقال بعضهم: «الرحمن» بخلقه جميعًا، و «الرحيم» بالمؤمنين، وقال بعضهم: «الرحمن» بجلائل النعم، و «الرحيم» بدقائقها، وقال بعضهم: «الرحمن» في الدنيا، و «الرحيم» في الآخرة.

الرحمة شيء يبعث الراحةَ في النفس.. المطر من رحمته، تهطل الأمطارُ فتمتلئ الينابيعُ، وينبت النباتُ، وتُثمرُ الأشجارُ، ونأكل، وترخص الأسعار، فهذا من رحمته. والأبناء من رحمته، يُبَدِّلون سُكونَ البيتِ حركةً وحياةً، ويبعثون الأُنْسَ في البيت، وإذا كبروا أعانوا والديهم، فالابن رحمة من الله. أن تعمل أجهزة الإنسان عملًا منتظِمًا هذا من رحمة الله، والله سبحانه وتعالى خلقنا ليرحمنا في الدنيا، ويرحمنا في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا». رواه مسلم عن أنس بن مالك. وثمة حديثٌ شريفٌ آخر يبعث في نفسِنا الطمأنينة، وهو قوله ﷺ: «الْحَمْدُ عَلَى النِّعْمَةِ أَمَانٌ مِنْ زَوَالِهَا». رواه الديلمي عن عمر. أيةُ نعمةٍ تحمد اللهَ عليها لن تزول، ولن تضيع، وقال ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لله إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ». رواه ابن ماجة عن أنس بن مالك.

كلمة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ التي أعطاها العبدُ لربه أفضلُ عند الله ممَّا أخذ، فمَن عنده بيتٌ لو قال: يا رب لك الحمد، فكلمة الحمد لله هذه أفضلُ عند الله من هذا البيت؛ لأن هذا البيت مصيرُه إلى الخراب، لكن هذا الحمد يَسْعَدُ به الإنسانُ إلى الأبد، وقد قال ﷺ: «لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا بِحَذَافِيرِهَا بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لله لَكَانَتْ «الْحَمْدُ لله» أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ». رواه الديلمي وابن عساكر وابن النجار عن أنس.

كلمة «الحمد لله» تعني أنك تعرف اللهَ، وإذا عرفتَه عرفتَ كلَّ شيء؛ لذلك حار العلماءُ أيُّهما أفضل؟ «الحمد لله»، أم «لا إله إلا الله»؟

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾

الألف واللام في «الحمد» لاستغراق الحمد كلِّه، والحمد لله رب العالمين أساس معرفة العبد بربه. هناك حديثٌ دقيق جدًّا، يقول ﷺ: «الْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ، مَا شَكَرَ اللهَ عَبْدٌ لَا يَحْمَدُهُ». رواه عبد الرزاق والبيهقي.

قال بعضهم: الحمد حالةٌ نفسيةٌ، والشكر سُلوكٌ عمليٌّ، فليس هناك سلوكٌ شاكرٌ إلا على أساسِ حالة حمد، وإذا لم يكن عند الإنسان حالة حمد فسلوكه باطل، وهو في حالة نفاق ومداهنة. قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ سبأ/ ١٣، الشكر عملٌ، أما الحمد فهو حالة نفسية، أحيانًا يقدِّم لك إنسانٌ خدمة تحسُّ أنك مُمْتَنٌّ من أعماقك، تعبر عن الامتنان أحيانًا بخدمة، أحيانًا بكلمة طيبة، أحيانًا بقولك: جزاك الله عني كل خير، ولكن هذا الكلام أو هذه الخدمة أساسها حالة نفسية شعرت بها، هذا هو الحمد.

هل أنت راضٍ عن الله عز وجل؟ هل تقول «الحمد لله» من أعماقك؟ الحمد لله في السرَّاء والضرَّاء، في الغنى والفقر، في القوة والضعف، في إقبال الدنيا وإدبارها، في العز والذل، الحمد لله على كل حال، الحمد لله الذي لا يُحمَد على مكروه سواه، واعلم أن «المكروهَ نعمةٌ، لكنه نعمةٌ باطنة».

اللهُ سبحانه وتعالى أمرنا أن نحمده، وأمرنا ألَّا نحمد أحدًا معه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ

ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ النجم/ ٣٢. والأثم: الإساءة أو المعصية والخطيئة، أما الفواحش فهي الكبير من المعصية كالزنا والاعتداء على الناس واللمم: صغائر الذنوب أو مقاربة المعصية من غير الوقوع بها (كالنظرة الحرام) وإذا سُئلتَ عن شخص تعرفه تقول: الله أعلم بحاله، ذلك علمي به.

العلماء قالوا: هناك حمدٌ لِذَاتِ الله، وهناك حمدٌ له لنعمةٍ سبقتْ منه، وهناك حمدٌ له لنعمة ترجوها منه، وهناك حمدٌ له خوفًا منه، إذنْ الحمدُ أنواعٌ، وقد جُمع كلُّ هذا في الفاتحة.

الحمد لله على أنه أوجدَنا، والحمد لله على أنه بثَّ فينا الروحَ، والحمد لله على أنه أَمدَّنا بالطعام والشراب وكلِّ ما نحتاج، والحمد لله على أنه قَوَّمَنا؛ فالأمراضُ والهمومُ والمتاعبُ والأحزانُ هذه كلُّها من أجل التقويم.

الحمد لله على ما أعطى، أنْ تعرفَ أنَّ هذه النعمة من الله عز وجل، أن تعرف من أعطاك، وأن ترضى بما أعطاك، وألا تعصي الله في ما أعطاك، هذا من معاني الحمد. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قالوا: جمعتْ هذه الآيةُ نعمةَ الهُدى، ونعمةَ الإمداد، وأكبرَ نعمةٍ وهي أن الله سبحانه وتعالى علَّمنا كيف نحمده، نحمد الله بطريقة علمنا إياها اللهُ سبحانه وتعالى، شعرَ بعَجْزِنا عن حمده فعلَّمَنا كيف نحمده.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تعني أنك تعرف أن لهذا الكون إلهًا عظيمًا، هو على كلِّ شيء قدير، فإذا حرمك من شيء فهذا حرمانُ معالجةٍ لا حرمانُ عجزٍ، «الحمد لله» تعني أن الذي خلقكَ يحبُّك، يحبُّك أكثرَ ممَّا تحبُّ نفسَك؛ لذلك يعالجك ولولا المعالجةُ لما اهتديت.

وكلمة ﴿رَبِّ﴾ تقتضي العلم، وتقتضي الخبرة، وتقتضي الغنى، وتقتضي الإشراف الدائم، وتقتضي الحكمة، وتقتضي الرحمة، لا بد أن يكون رب العالمين قويًّا، وغنيًّا، وحكيمًا، وعليمًا، وخبيرًا، ورحيمًا، وقيُّومًا، دائم الإشراف، كلمة ﴿رَبِّ﴾ فيها عطاء؛ لذا قال سبحانه: الحمد لله رب العالمين...

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾

الرحمن في ذاته، الرحيم في أفعاله، وهناك تطابقٌ كامل بين أفعاله وبين ذاته، أحيانًا تكون هناك مسافة بين الإنسان وبين أفعاله، قد يعمل عملًا فيه رحمة ولكن قلبَه قاسٍ كالحجر؛ الظروف اضطرته لذلك، ذكاؤه أرشده لذلك، لكن الله سبحانه وتعالى رحمان في ذاته، رحيم في أفعاله.

والرحمن الرحيم اسم جامع لأسماء الله الحسنى، فقوته من رحمته، ولطفه من رحمته، وبَطْشه من رحمته، وأفعاله نابعة من رحمته.

سيدنا محمد ﷺ أرحمُ الخَلق بالخلق، لو جُمِعت رحمةُ أمَّهات الأرض من أبينا آدم عليه السلام إلى يوم القيامة لن تُعادل رحمةَ النبيِّ بأمَّته، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ التوبة/ ١٢٨، (ومعنى عَنِتُّم: ما يصعب عليكم احتماله) هذا يعني أن النبي عليه الصلاة والسلام أرحمُ بك من نفسك.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾

لو عقلْنا معناها لارتعدتْ فرائصُنا.. أنتم الآن مخيَّرون ما دام في القلب حياة، كل شيء ممكن الآن، الإصلاح ممكن، والتوبة ممكنة، قال

تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ طه/ ٨٢، لكن إذا جاء يومُ الدين فلا اختيار لك، هذه الأمانة التي أودعها اللهُ فيك، هذا التكليف وهذا الاختيار الذي منحك الله إياه، هذا الكون الذي وهبه الله لك، هذا العقل والفكر الذي ميَّزك اللهُ به كلُّه انتهى، فلا تستطيع أن تفعل يوم الجزاء شيئًا، الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، قال عليه الصلاة والسلام: «عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ». أخرجه البيهقي عن جابر.

افعل ما شئت، أعْطِ أوْ لا تُعطِ، اعدِلْ أو اظلِم، أحسِنْ أو لا تُحسِن، اعملوا ما شئتم فإن يوم الدين هو يوم الجزاء، إن عاملتَ زوجتك بالإحسان فهو لك، وإن أسأت لها فعليك.. أنفقتَ مالَكَ في سبيل الله فهو لك، لم تُنفِق فَمَغَبَّةُ البُخل عليك.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ البقرة/ ٢٨٦

وقال تعالى أيضًا: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الروم/ ٤٤. (ومعنى يمهدون: أي يهيئون ويسوون لأنفسهم في مواضع النعيم).

إذا جاء ملَك الموت انتهى كلُّ شيء، الاختيار انتهى، والأمانة انتهت، والشهوات نُزِعَتْ، والكون طُوِي، والفكر تعطَّل، كلُّ شيء انتهى، يومُ الدِّينِ يومُ الجزاء واللهُ مالكه، أما الآن فأنت تملك الاختيارَ، مخيَّر أن تتوب أو لا تتوب، أن تسيء أو تُحسِن، لكن يوم الدين ينتهي الاختيار، هذه الآية تحضُّك على العمل الصالح، فإياك أن تصل إلى هذا اليوم وليس لك

عمل صالح تلقى الله به؛ لذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ آل عمران/ ١٠٢. قالوا: الدنيا دار تكليف والآخرة دار تشريف، في الآخرة انتهى الاختيار وانتهى التكليف، انتهت كلمة حرام وحلال، أنت في جنة عرضها السماوات والأرض، ربنا عز وجل قال: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾﴾ سورة يس، هنيئًا لهم، هذا الوقت قال تعالى: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ سورة الصافات/ ٦١، وقال أيضًا: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ سورة المطففين/ ٢٦، وقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾﴾ سورة الذاريات. (يهجعون: أي ينامون والسحر: وقت السحر وهو الثلث الأخير من الليل إلى قبيل طلوع الشمس).

في الدنيا الفرص كلها مفتوحة، أبواب الرحمة مفتوحة، أبواب التوبة مفتوحة، أبواب الاستقامة مفتوحة، أبواب العمل الصالح مفتوحة، لكن إذا جاء يوم الدين انتهى كل شيء، انتهت حرية الاختيار، انتهت الدنيا، ليس التعامل هناك بالأموال، بل بالحسنات والسيئات، يؤخذ من حسنات المسيء ويعوَّض بها مَن أساء إليه، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ سورة الشعراء.

الآن موقفك المنطقي: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾

لـو أنَّ الآيـة جـاءت (نعبـدك) (بـدلاً مـن إيـاك نعبـد) لاختلف المعنـى، إذا سـبق المفعـولُ بـه الفعـلَ فهذا أسـلوب الحـصر، أيْ نعبدك ولا نعبـد أحـدًا معـك؛ لذلـك فـإن أعـلى مرتبـة يبلغهـا الإنسـانُ في الأرض أن يـدرك أن حـقَّ العبـادة لله وَحْـدَهُ، وأعـلى مَقـام بلغـه النبيُّ أنـه كان عبـدًا لله، عبـدًا حقيقيًّـا، فتطابـقَ اختيـاره مـع أمـر الله تمامًـا، نحـن أحيانًا لا يتطابـق اختيارُنا مع أمـر الله، العبوديـة الكاملة أن يكون اختيـارك موافقًا مئـة في المئة لما أمر به الله عز وجـل، إذًا أنت عبد لله، وإن لم تكـن عبـدًا لله فـلا بد أن تكـون عبدًا لشـهواتك: قال رسـول اللهﷺ: «تَعِـسَ عَبْدُ الدِّينَـارِ، وَعَبْـدُ الدِّرْهَـمِ، وَعَبْـدُ الْخَمِيصَةِ». البخـاري عن أبي هريـرة، عبد الخميصة: الإنسـان الذي لا هم لـه إلا أن يلبس ثوباً من خرز أو صوف مطرَّز.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

إن العبـادة طاعةٌ تسـبِقُها معرفةٌ، وتعقُبُها سـعادةٌ، وإلا ما كانت لها هذه الأهمية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ سورة الذاريـات، العلة الكُبرى لخلق الإنسـان على وجه الأرض أن يعبد اللهَ، أي: أنْ يعرفَـه فيطيعَه ويسـعَدَ بقُربه، ومن معاني العبادة أن يكون المسـلم على خُلُقٍ رفيع في كسب رزقه مع الاستعانة بالله على ذلك السعي.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبـد إلا إيـاك، قـال تعـالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ سورة الأنبياء، التوحيد والعبودية لله عز وجل قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ

﴿بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾ (سورة طه)، (فتردى: أي تسقط في هاوية) والله هذه الآية تكفي، لكن الكافر عنده أملٌ طويل، بماذا؟ بلاشيء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ سورة الكهف/ ٢٨، (فرطاً: يعني من ضيع أعماله أو قصر فيها) نهيٌ إلهيٌ عظيم جدًّا عن اتباع الهوى يجب التنبُّه إليه.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾

العبادةُ لله عزَّ وجلَّ تحتاج إلى عون من الله، فأنت في الركوع تُعلن عن خضوعك لله، وفي السجود تطلب العونَ منه؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لِكُلِّ سُورَةٍ حَظُّهَا مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ». البيهقي عن أبي العالية.

كلُّ آية تقرؤها في الصلاة لها ركوع خاصٌّ بحسب مضمونها، ولها سجود خاصٌّ بحسب مضمونها، تبدأ في الركوع تقول: «سبحان ربي العظيم»، أي: خُضوعًا لك يا ربِّ في هذا الأمر، أنا مُطيعٌ لك، في السجود تقول: «سبحان ربي الأعلى»، يا ربِّ أَعِنِّي على تنفيذ هذا الأمر.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

الصراطُ: الطريق، والصراط المستقيم هو طريق الحق، طريق الإسلام. مَن الذي يَهديك في كلِّ مراحل الدنيا إلى طرائق الحق في جميع مناحي حياتك، أقوالِك وأفعالِك مع نفسك ومع غيرك – إلا الله سبحانه، ومن الذي يَهديك طريقَ الآخرة ويثبِّتُ قدميك عليه لتجتازه إلا الله سبحانه.

أي لا نعبد إلا إياك، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، لكننا ضِعاف، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ سورة النساء، إذا أراد ربُّك إظهارَ فضلِه عليك خلق الفضلَ ونسبهُ إليك. هؤلاء الناجحون، هؤلاء المفلحون، هؤلاء المؤمنون السعداء في الدارين، ومن يُطِعِ اللهَ ورسوله يحشره الله عز وجل مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني

آية الكرسي

آية الكرسي

مكيَّة، وهي الآية رقم (٢٥٥) من سورة البقرة، وهي في الجزء الثاني في المصحف الشريف.

سبب تسميتها:

ورود اسم (الكرسي) فيها، ويقصد بالكرسي أساس الحكم.

سبب نزولها:

لم يَرِد في كتب التفسير وعلوم القرآن سبب نزول آية الكرسي، والله أعلم.

فضلها:

١ - عن أُبيِّ بن كعب أن النبي ﷺ سأله: «أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ الله أَعْظَمُ؟» قال: آية الكرسي، قال ﷺ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ، والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ». رواه مسلم.
(لِيَهْنكَ العلم يعني ليكن العلم هيناً لك على سبيل الدعاء).

٢ - قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ». رواه النسائي وابن حبان.
(ومعنى دُبُرَ أي بعد).

٣ - ذكر الإمامُ الغزالي رحمه الله من المعارف العميقة المتوفرة في الآية المباركة قال: «والآن إذا تأمَّلتَ جملةَ هذه المعاني ثمَّ تَلَوْتَ جميعَ آيات القرآن لم تجدْ جملةَ هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العُلى مجموعةً في آية واحدة منها - إلا في هذه الآية».

٤ – أنها اشتملت على العديد من أسماء الله تعالى وصفاته ما بين ظاهر وباطن، وكلماتها خمسون كلمة، وجُملُها عشر جُملٍ، كلُّها ناطقةٌ بربوبية لله تعالى وأُلوهيته وأسمائه وصفاته الدالة على كمال ذاته وعلمه وقدرته وعظيم سلطانه.

٥ – وردت رواياتٌ كثيرة تؤكِّد استحبابَ قراءتها مُطلَقًا، وقُبَيلَ النوم، وبعد الفراغ من الصلاة، وعند الخروج من المنزل، وكذلك أكدت الروايات على استحباب قراءتها عند مواجهة الأخطار والمشكلات التي قد تعترض الإنسان، وعند ركوب المركبة أو الدابة، ولدفع الحسد، وطلب السلامة.

آية الكرسي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ
عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا
يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

معاني الكلمات:

١ - ٱللَّهُ : عَلَمٌ على ذات الربِّ تبارك وتعالى، دالٌّ على جميع أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، وهو - على الأرجح - اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب سبحانه.

١ - لَآ إِلَٰهَ : أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله تعالى؛ إذ هو الخالقُ، الرازقُ، المدبِّر، بيده كلُّ شيء، وإليه مصيرُ كلِّ شيء، وما عداه عبادته باطلة.

١ - ٱلْحَىُّ : الدائمُ الحياةِ التي لم تُسبَقْ بعدم، ولا يطرأ عليها موتٌ أو زوال.

٢ - ٱلْقَيُّومُ : القائم بتدبير الملكوت، والقائم على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ.

٢ - تَأْخُذُهُۥ : تغلبه.

٢ - سِنَةٌ : النُّعاس الذي يسبق النوم.

٢ - مَن ذَا ٱلَّذِى : من هو هذا الذي.

٤ - يَشْفَعُ : يتوسَّل ويكون وسيطًا لغيره.

٤ - يَعْلَمُ : العلم: إدراكُ الشيء إدراكًا جازمًا.

٥ - أَيْدِيهِمْ : حاضرهم ومستقبلهم.

٥ - خَلْفَهُمْ : ماضيهم، أو ما خفي عن عباده من معلومات، أو ما هو واقعٌ بعدهم أو قبلهم.

٥ - وَسِعَ : زاد في المدى، (وهذا في القدرة).

٦ - كُرْسِيُّهُ : موضِع قَدَم الربِّ سبحانه (مِن غير تجسيم أو تشبيه)، وقيل: علمُه أو قدرته.

٦ - يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا: يُثقِلُهُ أو يَشُقُّ عليه حفظُ السماوات والأرض وما فيهنَّ وما بينهنَّ.

٦ - ٱلْعَلِىُّ : الذي ليس فوقه شيء، والقاهر الذي لا يغلبه شيء.

٧ - ٱلْعَظِيمُ : الذي كلُّ شيء أمام عظمته صغيرٌ حقيرٌ.

مـن هدايـة الآيـة

الآية: ١- تقرير وحدانية الله تعالى، وتوحيد الله هو الذي ينجي من أهوال يوم القيامة ويُدخِل المؤمنَ الجنةَ.

الآية: ٢- أن الله قائمٌ على جميع شؤون خلقه.

الآية: ٣- أن الله لا ينام؛ فهو يقوم بتسيير شؤون خلقه على الدوام.

الآية: ٤- أن السماوات والأرض كلها ملك لله تعالى خلقًا وتصرُّفًا.

الآية: ٥- تقرير إحاطة علم الله بكل شيء، فلا يعزُبُ (لا يغيب ولا يخفى) عنه مَسارُ أيِّ ذرةٍ في السماوات والأرض إلا وهو عليم بها.

الآية: ٦- أن الخلقَ جميعًا لا يعلمون أيَّ شيء من العلوم إلا ما شاء الله أن يعلمهم إياه.

الآية: ٧- تقرير أن الشفاعة (التوسُّط للغير للتجاوز عن الذنوب أو لرفع الدرجات) هي للرسل والنبيين والصالحين ومَن يأذن اللهُ لهم مِن البشر يوم القيامة عند الحساب والجزاء.

الآية: ٨- يوم القيامة لا شفاعةَ للكافرين، ومثواهم جهنم.

الآية: ٩- أن عِلمَ الله واسعٌ وغيرُ محدودٍ، ولا يستطيع أحدٌ أن يبلُغ علمَهُ، وأنه هو وحده سبحَانه من يسمح بمقدار ما تقتضي حكمته ومشيئته للإنسان باكتشاف العلوم وإدراكها وتطبيقها.

الآية: ١٠- الله الحافظ لهذا الكون ولكل ما فيه.

خلاصة تفسير آية الكرسي

من كتاب تيسير اللطيف المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله.

قد أخبر النبيُّ ﷺ أن هذه الآية أعظمُ آيات القرآن على الإطلاق، وأنها تَحفظ قارئَها من الشياطين والشرور كلِّها؛ لما احتوتْ عليه من معاني التوحيد والعظمة، وسَعَة صفات الكمال لله تعالى؛ فأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية غيرُه، فألوهية غيرِه وعبادةُ غيره باطلةٌ ضارةٌ في الحال والمآل والمستقبل، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق الموصلة إلى كل كمال، وأنه الحي الدائم الكامل الحياة، فمِن كمال حياته أنه السميع البصير القدير، المحيط علمُهُ بكل شيء، الكامل من كل وجه.

فالْحَيُّ يتضمن جميع الصفات الذاتية (دائم الحياة)، والْقَيُّومُ الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع المخلوقات، وقام بها فأوجدها وأبقاها، وأمدّها بكل ما تحتاج إليه في بقائها؛ فالْقَيُّومُ يتضمن جميع صفات الأفعال، ولهذا ورد أن اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾؛ فإن هذين الاسمين الكريمين يدخل فيهما جميع الكمالات الذاتية والفعلية.

ومن كمال حياته وقَيُّوميَّته أنه ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ أي: نعاس، ﴿وَلَا نَوۡمٞ﴾؛ لأنهما إنما يعرِضان للمخلوق الذي يعتريه الضعف والعجز والانحلال، ويُنزَّه عنهما ذو العظمة والكبرياء والجلال.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، وأخبر أنه مالكٌ لجميع ما في السماوات وما في الأرض، فكلُّهم عبيده ومماليكه، لا يخرج أحد منهم

عـن هذا الوصف الـلازم؛ فهو المالك لجميع الممالـك، وهو الذي اتصف بصفات الملك الكامل، والتصرف التامِّ النافذ، والسلطان والكبرياء.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، ومـن تمـام ملكـه أنـه لا يشـفع عنـده أحد إلا بإذنه؛ فكل الوجهاء والشـفعاء عبيـد له، مماليك لا يُقْدِمـون على الشـفاعة لأحد حتى يأذن لهـم: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الزمـر/ ٤٤، ولا يشـفعون إلا لمـن ارتضاه الله، ولا يرضى إلا عمَّن قام بتوحيده واتباع رسـله، فمَن لم يتصف بهذا فليس له في الشـفاعة نصيب، وأسـعدُ الناسِ بشـفاعة محمد ﷺ من قال: «لا إله إلا الله خالصًا من قلبه».

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، ثم أخبر عن علمه الواسع المحيط، وأنه يعلم ما بين أيدي الخلائق من الأمور المسـتقبلة التي لا نهاية لها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، مـن الأمور الماضية التي لا حدَّ لها، وأنه لا تخفـى عليه خافية، يعلم خائنة الأعـين وما تخفي الصدور، قـال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأنعام/ ٥٩.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، وأن الخلق لا يحيط أحدٌ منهـم بشيء مـن علم الله ولا معلوماته إلا بما شـاء منهما، وهو ما أطلعهم عليه من الأمور الشرعية والقدرية، وهو جزء يسـير جدًّا بالنسـبة إلى علم البـارئ، تَضْمَحِلُّ العلـومُ كلها في علم البـارئ ومعلوماته، كما قال أعلم المخلوقـات، وهم الرسـل والملائكة، قـال تعالى عن الملائكـة أنهم قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ البقرة/ ٣٢.

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾، ثم أخبر عن عظمته وجلاله، وأن كرسيه وسع السماوات والأرض، وأنه قد حفظهما بما فيهما من العوالم بالأسباب والنظامات التي جعلها الله في مخلوقاته، مع ذلك فلا يؤوده - أي: يثقله - حفظهما، لكمال عظمته وقوة اقتداره وسعة حكمته في أحكامه، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾، بذاته على جميع مخلوقاته، فهو الرفيع الذي باين جميع مخلوقاته؛ وهو العلي بعظمة صفاته، الذي له كل صفة كمال، ومن تلك الصفات أكملها ومنتهاها، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾، الذي قهر جميع المخلوقات، ودانت له كل الموجودات، وخضعت له الصعاب، وذلَّت له الرقاب، ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد، الذي تحبه القلوب، وتعظِّمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل موجود - وإن جلت عن الصفة - فإنها مضمَحلَّةٌ في جانب عظمة العلي العظيم، فتبارك الله ذو الجلال والإكرام.

فآية احتوت على هذه المعاني التي هي أجلُّ المعاني وأفرضها على العباد، يحق أن تكون أعظم آيات القرآن، ويحق لمن قرأها متدبرًا متفقِّهًا أن يمتلئ قلبُه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون بذلك محفوظًا من شرور الشيطان.

من خواطر الدكتور راتب النابلسي
حول آية الكرسي

يقول الله عزَّ وجل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

﴿ ٱللَّهُ ﴾ عَلَمٌ على الذات الإلهية، صاحب الأسماء الحسنى، والصفات الفضلى، خالق السماوات والأرض، لا إله إلا هو، الرحيم، الكريم، البَرّ، الغفور، الفعَّال لما يريد، القاهر فوق عباده، القوي، المتين، ذو الجلال والإكرام، الحَكَمُ، العدل، فإذا قلت: الله، فكل أسمائه الحسنى مُنْطَوِيةٌ في هذه الكلمة. وجرت الآيات الكريمة أن الله جل جلاله إذا تحدَّث عن ذاته تحدث بضمير المُفْرَد: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ سورة طه/ ١٤، وإذا تحدث الله سبحانه عن أفعاله، يأتي ضمير الجمع؛ لأن كل أسمائه الحسنى في أفعاله، فكل أفعاله فيها عِلمٌ، وفيها حكمةٌ، وعدلٌ، ورحمةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ سورة يس/ ١٢.

(الإله) هو المعبود، والإنسان هو مَن يجب أن يَعبد؟ ويجب أن يَعبُدَ الذي خلقه، (فالله) هو الخالق، ويجب الإنسان أن يعبد الذي يعلم سرَّه ونجواه، (فالله) يعلم السر والنجوى، يعبد مَن يستمع إليه إذا ناجاه، ويراه إذا تحرك، الله هو السميع البصير العليم، يعبد من هو على كل شيءٍ قدير، فالله على كل شيءٍ قدير، فإذا قلت: لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، أما إذا توجهت إلى غير الله فقد توجَّهت إلى لا شيء، قال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ سورة فاطر/ ١٤، الله أهلٌ أن تعبده لأنه حيٌّ باقٍ على الدوام، فلو عبدتَ إنسانًا يموت

لضاعت كلُّ آمالك، وضاع كلُّ عملك، ولكنك تعبد الحيّ الباقي على الدوام، الذي هو مطَّلعٌ عليك، وعليمٌ بأحوالك، ومَن هو قادرٌ على تلبية حاجاتك، ورحيمٌ بك وأنت في بطن أمك، وأنت في القبر، فهذا الذي يجب أن تعبده، إنك تعبد إلهًا لو عرفتَه على حقيقته لذابت نفسُك شوقًا إليه، ولتحيَّرت في جماله، وتحيّرت في كماله، وفي قدرته، وعطائه، خلَقَك ليُسعِدك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ الصف/ ١٠-١١.

أنت مخلوقٌ للعبادة، وعلة وجودك أن تعبد الله، وأنت في الدنيا من أجل أن تعبده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ الذاريات/ ٥٦.

نقول في بعض الأوراد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد، فهناك مَن له المُلك وليس له الحمد، فرعون مَلَك ولا يُحْمَد على مُلكه، وهناك إنسان ضعيف يُحمَد ولا يملك، لكن الله عزَّ وجل له المُلك وله الحمد: قال تعالى: ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢﴾ سورة الحديد/ ٢.

لو أن في الكون آلهةً غير الله هل يسكتون؟ لا، فإذا لم يستطيعوا أن يتكلَّموا فليسوا آلهة، وإذا تكلَّموا ولم يستطيعوا أن ينتزعوا الأمر من الإله الذي ادعى الألوهية وحدَه فليسوا آلهة؛ لأن (الله) عزَّ وجل قال: لا إله إلا أنا، فلو كان هناك إلهٌ آخر لقال: لا، أنا، الإله ليس أنت.. وهذا محال، لم يحصل ولن يحصل إطلاقًا.

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

الحقيقة (الحيُّ) مِن «أسماء الذَّات»، وأسماء الذات لا نقيض لها، الله عزَّ وجل المعطي/ المانع، الرافع / الخافض، فهذه من أسماء الأفعال، وكذلك المعز / المذل، لكن (الحي) ليس له نقيض، فالله عزَّ وجل حي على الدوام، فأسماء الله عزَّ وجل التي لا نقيض لها هي أسماء الذات، والتي لها نقيض هي أسماء الأفعال، فإذا كانت حياةُ الله عزَّ وجل حياةً أزليةً أبديةً، لم يسبقها عدم وليس بعدها عدم، فحياةُ الله سبحانه غيرُ حياتنا، والإنسان إذا كان حيًّا فقد سبقه عدم، قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ سورة الإنسان/ ١، فالإنسان سبقه عدم، وسوف ينتهي إلى عدم؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ (سورة الرحمن/ ٢٦-٢٧)

الله حيٌّ باقٍ على الدوام، وحيٌّ قيّوم، وهو معكم أينما كنتم، معكم بعلمه، يقوم على العناية بخلقه، لأنه رب العالمين، قيُّوم السماوات والأرض يقوم على إدارتها، والعناية بها، وتربيتها، وإمدادها، وبمراقبتها ومحاسبتها وتأديبها ورزقها.. وهو مع كل الخلق، ومع كل المخلوقات، ومع كل البشر؛ مما يؤكد هذا أنه ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ وفي آية أخرى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ سورة الأنفال/ ١٩، والله مع المؤمنين بالنصر، والتأييد، والحفظ، والتوفيق، وهذه المعيَّة خاصة، والمعية العامة أنه مع المخلوقات بعلمه.

﴿لَهُۥ﴾

لام المُلك؛ فله المُلكُ خلقًا، وتصرُّفًا، ومصيرًا، أما أنت كإنسان فقد تملك بيتًا ولا تنتفع به، إنها مُلْكِيَّة ناقصة، أما إذا قلنا:

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فالله وحده يملك الكون، إيجادًا، وتصرُّفًا، ومصيرًا، قد تبيع دولةٌ طائرةً، وبعد أن باعتها أصبحت هذه الطائرة بيد مَن اشتراها، غير أنَّ الله سبحانه وتعالى مُلكه دائم ولا تستطيع أي جهة على وجه الأرض أن تفعل شيئًا إلا بإذنه سبحانه...

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ سورة الزمر/ ٦٢ لا يمكن أن يقع شيءٌ في مُلكه إلا بإرادته؛ لذلك قالوا: كل شيءٍ وقع أراده الله، وكل شيءٍ أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المُطلقة، وحكمته المطلقة متعلقةٌ بالخير المطلق، فالأمر بيده .. السماوات والأرض تعبيرٌ قرآني عن الكون، فالكون كلُّه له؛ ولذلك فالموَحِّد مرتاحٌ، وهو سعيدٌ سعادةً كُبرى، والموحِّد يرى ربَّه ولا يرى مع الله أحدًا، ويرى أن يد الله وحدها التي تعمل، والموحِّد لا يحقد، وليس عنده إحباط، ولا سَأَم، ولا ضَجَر، ولا يأْس، ولا خُذلان، إنه موحِّد، والأمر بيد الله، وله مُلك السماوات والأرض.

أنت في ملكه، وأنت في قبضته، وأجهزتك وأعضاؤك بيده، عملك بيده، ورزقك، ومَن حولك، ومَن هم فوقك، ومَن هم دونك كلهم بيده، فهو الذي يعطي وهو الذي يمنع، سبحانه يرفع ويخفض، ويعز ويذل.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكية تامة؛ إيجادًا، وتصرُّفًا، ومصيرًا، قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ سورة الزمر/ ٦٢.

﴿لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ سورة الأعراف/ ٥٤.

﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ سورة هود/ ١٢٣.

﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ سورة الكهف/ ٢٦.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾

المعنى الواسع جدًّا لهذه الآية: مَن يستطيع أن يجمع شيئين (الشفع هو الزوج)؟ الجواب: لا أحد، أبسط مثال: شخص في أثناء السفر ينام في فلاة، فيها عقارب، لا يستطيع العقرب أن يلدغ نائمًا إلا بإذن الله، ولا أن تدخل رصاصة إلى إنسان إلا بإذن الله، بل هي شظية مسوَّمة عليها اسم مَن تقتله، لكل شيءٍ حقيقة، وما بلغ عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وبالمعنى الواسع: إنّه لا يمكن أن يجتمع عنصران في الكون إلا بإذن الله، فإنسان ينالك بأذى وليس عند الله علم: هذا مستحيل، ولكن أصابك ذلك بعلمه، وإرادته، وحكمته، وعدله، ورحمته؛ فلذلك قال رسول الله ﷺ في دعائه: «لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ»، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سورة فاطر/ ٢.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾، عنده أي في ملكه، هذه آية التوحيد، فأول شيء نحن في ملكه، فالحركة بأمره، نحن في ملك الله؛ الأرض، والسماء، والبحار، والأطيار، والأسماك، والأراضي، والنباتات، والرياح، والأعاصير، والأمطار، والسُحُب، والبراكين، كل شيء بيده، والآن الحركة، فلان ضرب فلانًا، حركة، لا يستطيع مخلوق أن يفعل شيئًا مع مخلوق إلا بإذن الله، لا خيرًا ولا شرًّا، فحينما ترى إنسانًا يؤذي إنسانًا فهذا بأمر الله، أو يكرمه فكذلك بأمر الله.

والمعنى الثاني: الشفاعة التي ذكرها الله عزَّ وجل: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ سورة يونس/ ٣، فهو الذي يشفع لمن ارتضى، والشفاعة بمعناها المحدود: الوساطة، أي: أن يكون وسيطًا له يسأل العفو والتجاوز عن ذنبه بإذن الله عزَّ وجل، أي: إنه لا يشفع أحدٌ إلا من بعد إذن الله عزَّ وجل... إن من أعظم وأهم أمور يوم القيامة «الشفاعة»؛ إذ جعلها الله سبحانه في المؤمنين رحمة بهم دون العالمين، فلا شفاعة لكافر أو لمشرك، ولا شفاعة لأحدٍ إلا من بعد أن يأذن الله سبحانه.

ولعظيم أمر «الشفاعة» عند الله سبحانه فقد ذكرها في كتابه الكريم في أكثر من آية كريمة.. فالله سبحانه يعلم حقَّ العلم كم يكون الناس في هذه المواقف العصيبة يوم القيامة متطلعين ومتلهفين للشفاعة.

فالشفاعة محور رئيس لكثير من مواقف يوم القيامة، ولكن الله سبحانه أعلم بخلقه جميعًا؛ لذلك لا يأذن بها إلا لمن ارتضى قولًا.

يقول تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ الأنبياء/ ٢٨، ويقول تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ مريم/ ٨٥-٨٧.

وبيَّن اللهُ سبحانه أن الملائكة أيضًا لا يشفعون لأحد من خلقه إلا بعد أن يأذن الرحمن لمن يشاء منهم، يقول الله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ النجم/ ٢٦.

ثم يبين الله سبحانه أن الشفاعة العظمى له وحده دون خلقه جميعًا؛ يقول تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الزمر/ ٤٤.

الله سبحانه هو الشفيع الأول والأخير لعباده، وهذا ما سيظهر في الآخرة بعد الحساب عندما يشفع في عباده ويخرجهم من النار ويعفو عنهم... ولا شك أن صاحب الشفاعة الأولى بعد الله سبحانه هو سيد الخلائق جميعًا سيدنا محمد ﷺ حين يبدأ الله سبحانه بفصل القضاء والعرض والحساب، ولكن العباد من المؤمنين يحتاجون إلى شفاعات كثيرة، منها ما يكون عند الميزان، ومنها ما يكون عند الصراط، ومنها ما يكون في إخراج كثير منهم من النار من أهل الكبائر.. وكذلك فإن الله سبحانه يشفِّع من عباده - بعد سيدنا محمد ﷺ - الأنبياءَ والصدِّيقين والشهداء والعلماء وكثيرًا من الناس، حتى يشفِّع الوالدَ في ولده، والوالدة في ولدها، والمؤمنَ في المؤمن.

*شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ أَوْ يَدْخُلُ نِصْفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ المُتَقَدِّمِينَ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الخَطَّائِينَ المُتَلَوِّثِينَ»

رواه الطبراني وابن ماجه.

* شفاعته ﷺ لقوم حوسبوا واستحقوا العذاب:

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشْفَعُ لِأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِيَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ: أَقَدْ رَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ قَدْ رَضِيتُ» رواه الطبراني والبزار.

* اختبأ رسول الله ﷺ دعوتَه المُستجَابةَ ليوم القيامة شفاعةً لأمته:

روى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيئًا» رواه مسلم في صحيحه.

قال الإمام النووي رضي الله عنه: «وفي هذا الحديث بيانُ كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخَّر دعوتَه لأمته إلى أهم أوقات حاجاتهم».

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ النَّارَ مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ بِما عَصَوُا اللهَ وَاجْتَرَؤُوا عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَخَالَفُوا طَاعَتَهُ». ثم قال ﷺ: «فَيُؤْذَنُ لِي فِي الشَّفَاعَةِ، فَأُثْنِي عَلَى الله سَاجِدًا كَمَا أُثْنِي عَلَيهِ قَائِمًا، فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ». رواه البخاري.

*أَسْعَدُ الناسِ بشفاعة رسول الله ﷺ مَن قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، مَن أَسْعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ». رواه البخاري.

* شـفاعته ﷺ تَنالُ مَن سأل له صلى الله عليه وسلم الوسيلةَ والمقام المحمود عند سماع الأذان:

عن جابر رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ والصَّلَاةِ القَائِمَةِ آَتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ» رواه البخاري. وزاد البيهقي في روايته: (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ).

* أولى الناس بشفاعته ﷺ أكثرُهم عليه صلاةً:

عـن ابن مسـعود رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّـاسِ بِي يَـوْمَ القِيَامَـةِ [أي: أحقُّهم بشـفاعتي وبإكرامـي] أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً» رواه الترمذي.

أمـا الكفـار والمشركـون يـوم القيامـة فقد قـال تعالى فيهـم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ المدثر/ ٤٨، فدلَّت الآيـةُ أن هناك من المؤمنين شفعاء يشفعون.

عـن عثـمان بن عفـان رضي الله عنه أن النبـي ﷺ قال: «يَشْـفَعُ يَومَ القِيامَةِ ثَلَاثَةٌ: الأَنبِياءُ، ثُمَّ العُلَماءُ، ثَمَّ الشُّهَدَاءُ». رواه ابن ماجه.

* شفاعة المؤمنين:

عـن أبي أمامـة رضي الله عنـه أن النبـي ﷺ قـال: «يَدْخُـلُ الجَنَّـةَ بِشَـفَاعَةِ رَجُـلٍ مِـنْ أُمَّتِـي أَكْثَرُ مِنْ عَـدَدِ مُضَر، وَيَشْـفَعُ الرَّجُـلُ فِي أَهْلِ بَيتِـهِ، وَيَشْـفَعُ عَـلَى قَـدْرِ عَمَلِـهِ» رواه الطـبراني. (ومُـضَرْ هـي قبيلـة كبيرة من قبائل العرب).

* شفاعة أرحم الراحمين:

شفاعة الله سبحانه - وهو أرحم الراحمين - تكون بعد أن يشفع رسول الله ﷺ والأنبياء والصِّدِّيقون والشهداء والعلماء وحَمَلَةُ القرآن والمؤمنون؛ ذلك أنها الشفاعة التي فيها كاملُ الرحمة من أرحم الراحمين، فبرحمة الله سبحانه لا يبقى في النار مَن شهد أنْ لا إله إلا الله، فالله سبحانه له الشفاعة جميعًا، وهو الخالق المقتدِر الرحمن الرحيم الذي أَذِنَ بالشفاعة لمحمد ﷺ والأنبياء والشهداء والصديقين والعلماء والمؤمنين إكرامًا لهم جميعًا، ولكن الله سبحانه أكرمُهم وأرحمُهم جميعًا وله الشفاعة (العظمى) التي لا يقدر عليها سواه. يقول تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الزمر/ ٤٤، وفي الحديث الشريف الطويل المتفق عليه وفيه أن النبي ﷺ قال: «فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، شَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾

(ما بين أيديهم) أي: أمامهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أيْ: وراءهم، وقيل: (ما بين أيديهم) عالَمُ الشهادة، وَمَا خَلْفَهُمْ عالَمُ الغيب، عالم الشهادة أي: المشهود، وهو كلُّ شيء تدركه حواسُّنا كالمرئيات والمسموعات، وعالم الغيب هو ما لا تدركه حواسُّنا، فنحن عندنا غيب الحاضر، وغيب الماضي، وغيب المستقبل؛ ولذلك قال الإمام علي عن عِلم الله عزوجل: «علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون».

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾

كل شيء تسمعونه عن اختراع، واكتشاف، وقفزة في عالم المجهول، هذا كله مما سمح الله به، قال الله عزَّ وجل: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ سورة النحل/ ٨، ثم قال في آخر الآية: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة النحل/ ٨، ومن هذه الآية عُزِيَ صنعُ الطائرة إلى الله؛ لأنه هو الذي ألهم الإنسانَ صنعَ الطائرة، وألهم الإنسانَ اكتشافَ وَقودِها، فإذًا كلُّ شيءٍ يفعله الإنسان هو من إلهام الله له.

إذا نجح الطبيبُ في علاج ابنك، يكون اللهُ قد سمح له بذلك، وألهمه، ومكَّنه، وأطلعه على المرض، ووفقه في تشخيصه، ووفقه في معرفة الدواء، وسمح الله للدواء أن يفعل فعله..

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، وهذا الذي شاءه قليل جدًّا، وهناك مَن يؤلِّه الإنسانَ – والعياذ بالله – مع أنّ الإنسان عبد فقير محدود. قال بعض العلماء المخترعين: العبقرية تسعة وتسعون بالمئة منها عَرَق، أي: تعب، وواحد بالمئة إلهام، وهذا الإنسان وفقه الله للعمل ثم كشف هذه الحقيقة التي سمح الله بها.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

الكرسيُّ والعَرش نُفوِّض أمر حقيقتهما إلى الله، كيف ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ سورة الفتح/ ١٠، وكيف ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ سورة المائدة/ ١١٦...، آياتٌ قليلة متعلقةٌ بذات الله تعالى، أسلم تفسير أن نَكِلَ أمرها إلى الله، فالاستواء معلوم والكيف مجهول، وهناك من أوَّلها

تأويلًا لا يليق بكمال الله، أما أن نجسِّد، فهي عقيدة فاسدة، وأما أن نُعَطِّل، فالتعطيل عقيدة فاسدة.

وقال بعض العلماء: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ أي علمه..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾

أي: لا يُعْجِزُهُ حفظُهُما، ولا يُتعِبُهُ حفظُهما، وقال الله في موضع آخر: «وما مسنا من لغوب»، اللغوب هو التعب.

لعلك إذا دخلت إلى بيوت الكثير من المسلمين ترى فيها آية الكرسي معلَّقة، علِّقْها فلا مانع، ولكن الأفضل من ذلك أن تفقه معناها، وأن توحِّد الله عزَّ وجل، وأن تطمئن لله عزَّ وجل، ويجب أن تكون في قلبك وأن تعيش معانيها، وأن تكون في مستواها، وأن تقرأها وأنت فاهم ومؤمن لمضامينها وتعمل بمقتضاها.

والحمد لله رب العالمين.

المراجع

١- معظم معاني الكلمات وهداية الآيات من موسوعة «أيسر التفاسير للكلام العلي القدير» للشيخ أبو بكر الجزائري - حفظه الله.

٢- التفسير الموضوعي من كتاب «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم» للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله.

٣- التفاسير المفصّلة مأخوذة بتصرّف من محاضرات وخواطر الدكتور محمد راتب النابلسي - حفظه الله.

٤- تفسير آية الكرسي من كتاب «تفسير اللطيف المنّان» للشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله.

٥- فقرات «الإيمان» و «الإسلام» من موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، للشيخ صالح بن حميد والدكتور عبد الرحمن بن ملوح - حفظهم الله.

الفهرس

إهداء ٥

المدخل إلى سلسلة «علمتني» ٦

أ- القرآن الكريم ٢٥

ب- الإيمان ٣٠

ج- الإسلام ٣١

- مقدمة «علمتني الفاتحة وآية الكرسي» ٣٥

أ- وقفات مع فاتحة الكتاب ٣٨

ب- وقفات مع آية الكرسي ٤٤

- الفصل الأول -

- **سورة الفاتحة** ٤٧

آياتها وتسميتها ٤٨

فضلها ٥٠

معاني الكلمات ٥٢

من هداية الآيات ٥٣

التفسير الموضوعي لسورة الفاتحة ٥٥

من خواطر الدكتور راتب النابلسي في تفسير سورة الفاتحة ٥٩

- الفصل الثاني -

- **آية الكرسي** ٧٣
تسميتها وسبب نزولها ٧٤
فضلها ٧٤
معاني الكلمات ٧٦
من هداية الآية ٧٧
خلاصة تفسير آية الكرسي للشيخ عبد الرحمن السعدي ٧٨
من خواطر الدكتور راتب النابلسي في تفسير آية الكرسي ٨١
المراجع ٩٣
الفهرس ٩٥